

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche
Scientifique

جامعة عمار ثليجي – الأغواط

كلية: العلوم الإنسانية

القسم: التاريخ

الميدان: علوم إنسانية

الشعبة: تاريخ

التخصص: تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

مطبوعة (دروس)

موجهة لطلبة: السنة الأولى المستوى: ماستر

محاضرات في مقياس نشأة التصوف وتطوره

من إعداد: نورالدين مسعودي

أستاذ محاضر، جامعة الأغواط

الإيميل: no.messaoudi@lagh-univ.dz

السنة الجامعية: 2026/2025

محاور المادة:

المحاضرة الأولى: مصادر دراسة التصوف:

المحاضرة الثانية: مفهوم التصوف

أولا: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتصوف

ثانيا: مواضيع التصوف

المحاضرة الثالثة: التصوف الإسلامي نشأته ومراحل تطوره

أولا - نشأته

ثانيا - مراحل تطور التصوف

المحاضرة الرابعة: مصادر التصوف

أولا - المصادر الداخلية:

ثانيا - المصادر الخارجية

المحاضرة الخامسة: التصوف الإسلامي من خلال الرؤية الاستشرافية

أولا- تعريف الاستشراق

ثانيا- رأي المستشرقين في مصادر التصوف الإسلامي

ثالثا- نماذج من عناية المستشرقين بالتصوف

المحاضرة السادسة: المنهج الذوقي عند الصوفية

أولا - أقسام العلوم عند الصوفية

ثانيا - طريق المعرفة الإلهامية

ثالثا - إثبات المعرفة الذوقية الإلهامية

رابعا - موقف علماء المسلمين من المعرفة الذوقية

المحاضرة السابعة: موقف الفقهاء والمتكلمين من التصوف

أولا - موقف المتكلمين

ثانيا - أهل السنة

ثالثا - نقد الصوفية لأنفسهم

المحاضرة الثامنة: الطرق الصوفية

أولا - تاريخ الطرق الصوفية ونشأتها

ثانيا - أهم خصائص ومميزات الطرق الصوفية

ثالثا - مؤسسات الطرق الصوفية

المحاضرة التاسعة: أهم الطرق الصوفية وعقائدها

- الطريقة القادرية

المحاضرة العاشرة: الطريقة الشاذلية

مقدمة:

يُعدّ التصوف الإسلامي أحد أبرز المظاهر الروحية والفكرية التي عرفها تاريخ الإسلام، إذ مثلّ البعد الإحساني في المنظومة الدينية، والسعي إلى بلوغ الكمال الخُلقي والمعرفي عبر تزكية النفس والارتقاء بالوجدان. وقد احتلّ التصوف مكانةً متميِّزة في التراث الإسلامي لما انطوى عليه من قيم الزهد، والمحبة، والتجرد، والإخلاص، ولما أسهم به من ثراء فكري وروحي في مسار الحضارة الإسلامية.

تبدأ هذه السلسلة من المحاضرات بالتعريف بأهم مصادر دراسة التصوف من كتب الأعلام الأوائل مثل اللمع للسراج الطوسي، والتعرّف للكلاباذي، والرسالة القشيرية، وعوارف المعارف، وغيرها من النصوص المؤسسة. تتناول المحاضرات مفهوم التصوف ومعناه في اللغة والاصطلاح، وأهم العوامل التي ساعدت على ظهوره، سواء كانت دينية أو اجتماعية أو فكرية. ثم تُعرض ثم تتطرق إلى تقديم دراسة شاملة لتاريخ التصوف الإسلامي ومعانيه ومصادره وتطور مدارسه، وذلك من خلال تتبّع نشأته الأولى في بيئة الزهد والورع خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، ورصد تحوُّله من نزعة روحية فردية إلى تيار فكري منظم ذي أصول علمية ومنهجية واضحة.

كما سيتم التوقف عند مراحل تطور التصوف، من الزهد العملي إلى التجربة الوجدانية، ثم إلى التنظير الفلسفي عند الغزالي، وابن عربي، والسهروردي. ويُخصّص جزء من هذه المحاضرات لدراسة المدارس الصوفية الكبرى وطرقها، مثل القادرية، والشاذلية، مع إبراز خصائص كل مدرسة وموقعها في التاريخ الاجتماعي الإسلامي.

ولا تُغفل السلسلة أيضًا نظرة المستشرقين إلى التصوف، وتحليل مواقفهم المتباينة بين من رأى فيه تيارًا روحانيًا نابغًا من الإسلام نفسه، ومن ربطه بمؤثرات خارجية فارسية أو هندية أو مسيحية، مع تقييم نقدي لهذه الآراء.

المحاضرة الأولى:

مصادر دراسة التصوف:

يُعدّ التصوف الإسلامي أحد أهم المظاهر الروحية والفكرية في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد حظي باهتمام واسع من العلماء والمفكرين منذ نشأته الأولى في القرن الثالث الهجري. غير أن دراسة التصوف لا يمكن أن تقوم على الانطباعات العامة أو الرؤى الحديثة وحدها، بل تستند أساسًا إلى مصادر أصيلة دونها المتصوفة أنفسهم، عبّروا فيها عن مفاهيمهم ومناهجهم ومقاماتهم في السلوك إلى الله. وقد تنوعت هذه المصادر بين كتب التأسيس النظري والعرض التجريبي والتحليل العقائدي والسلوكي. وفي هذه المحاضرة سنتطرق إلى أهم المصادر التي ألفها علماء التصوف:

1- الرعاية لحقوق الله للحارث بن أسد المحاسبي البصري (165-243هـ):

الحارث المحاسبي هو من كبار الزهاد والعلماء بالبصرة، وُصف بأنه «عالم القلوب» و«إمام المراقبة والمحاسبة». تتلمذ عليه الجنيد، وكان من رواد المدرسة العقلانية في الزهد والتصوف¹. يُعد كتاب «الرعاية لحقوق الله» من أقدم النصوص الصوفية المنهجية، وضع فيه المحاسبي خلاصة تجربته في تهذيب النفس ومراقبة الله، جامعًا بين الجانب الشرعي (الالتزام بالأوامر والنواهي) والجانب الروحي (صفاء القلب ومحاسبة النفس). ويهدف إلى بيان كيفية رعاية العبد لحقوق الله عليه في العبادات، والسلوك، والنية، والوقت، والنية الباطنة. يتألف الكتاب من عدة أبواب ومقاطع متتابعة تُبنى على مبدأ التدرج في السلوك الروحي. ومن أبرز موضوعاته: معنى رعاية حقوق الله، المراقبة والمحاسبة، الإخلاص والنية، آفات النفس والرياء والعجب، الصبر والزهد والتوكل، الخشوع والخوف والرجاء. ترك أثرًا عميقًا في الفكر الصوفي اللاحق، خصوصًا في مدرسة الجنيد، ثم في أعمال الغزالي في إحياء علوم الدين. يُعدّ حلقة وصل بين الزهد الأخلاقي الأول والتصوف المنهجي الذي

¹ - أبو عبد الله الحارث المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط4، دار الكتب العلمة، بيروت، (دت)، ص3.

تطور في القرون اللاحقة¹. نُشر الكتاب بتحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت. كما وُجدت منه طبعة محققة عن دار المنهاج، بتحقيق عبد الله محمد البصري.

2- كتاب "اللمع في التصوف" لأبي نصر السراج الطوسي (ت 378هـ / 988م):

صاحب الكتاب هو عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى، يعد من كبار أئمة التصوف في القرن الرابع الهجري، وُلد بمدينة طوس بخراسان، وتلمذ على عدد مشايخها، وروى عنه جعفر الخدي وأبو بكر بن داود الدقي، كان شيخ الصوفية، توفي سنة 378هـ². أَلف السراج كتابه في وقت كَثُر فيه الخلاف حول التصوف، وكثر الدخلاء عليه، فكان هدفه هو تحديد معالم التصوف الصحيح كما عرفه السلف، وشرح مصطلحات القوم وأحوالهم بلغة فقهية ومنهجية. والدفاع عن الصوفية ضد من اتهمهم بالبدع أو الحلول والزندقة. يتألف اللمع من نحو ثلاثين بابًا، يغطي فيها المؤلف الجوانب النظرية والعملية للتصوف. أبرز موضوعات الكتاب: أصول التصوف ومصدره، الأخلاق والمقامات الصوفية. الكرامات والأحوال الروحية. اللغة الصوفية والمصطلحات إذ يُعد اللمع أقدم معجم لمصطلحات الصوفية: مثل الفناء، البقاء، الذوق، الوجد، الكشف، المحبة، التوحيد، الجمع والفرق. ويعتبر أول موسوعة صوفية منهجية جمعت بين النظرية والممارسة. أصبح نموذجًا يحتذى به في كتب التصوف اللاحقة، من أشهر طبعاته: اللمع في التصوف، تحقيق رينولد أ. نيكلسون، مطبعة جامعة ليدن، 1914م (طبعة علمية كلاسيكية). وهناك طبعة حققها عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1960م³.

3- كتاب التعرّف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (ت 380هـ):

صاحب الكتاب هو أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، وكلاباذ تقع في بُخارى، ولد سنة 323هـ من فقهاء الحنفية ومتكلمي الماتريدية، جمع بين علوم الشريعة والعقيدة

¹ - المحاسبي، المصدر السابق، ص522.

² - أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثى ببغداد، 1960، ص12.

³ - الطوسي، نفسه، ص637.

والتصوف، وكان معاصراً للسراج الطوسي صاحب اللمع، ولهما المنزلة نفسها في تأسيس الفكر الصوفي السُّني¹. ظهر الكتاب في وقتٍ تصاعد فيه الجدل حول التصوف، وظهرت فيه تيارات متطرفة وغامضة (كالباطنية والحلولية)، مما جعل العلماء ينظرون إلى المتصوفة بريبة. أراد الكلاباذي من خلال كتابه أن يشرح عقيدة الصوفية الصحيحة، وأن يبين أن طريقهم قائم على الكتاب والسنة، لا على الابتداع. ويجمع أقوالهم ومصطلحاتهم في صورة منهجية واضحة. ولهذا يُعتبر التعرّف أول عرض شامل ومنظم لمذهب الصوفية من داخل بيئتهم نفسها. ويتألف الكتاب من مقدمة وخمسة وسبعون باباً قصيرة، تتناول أصول التصوف ومفاهيمه ومصطلحاته².

4- الرسالة القشيرية في علم التصوف للإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري (376-465هـ):

صاحب الكتاب هو أبو القاسم عبد الكريم بن عبد الملك القشيري، من كبار علماء خراسان في القرن الخامس الهجري، جمع بين الفقه الشافعي، والكلام الأشعري، والتصوف السني المعتدل. أصله من العرب الذين قدموا خراسان، توفي أبوه وهو صغير، تتلمذ على كبار الشيوخ، وأشهرهم أبو علي الدقاق الذي كان له أثر بالغ في تكوينه الروحي. وألّف القشيري الرسالة في مدينة نيسابور إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام حوالي سنة 437هـ³، في فترة انتشر فيها الجدل حول التصوف وتعرض بعض الصوفية للاتهام بالبدع والانحراف. أراد المؤلف من خلالها أن يبيّن أن التصوف طريق شرعي منضبط بالكتاب والسنة، وأن الصوفية الحقيقيين هم ورثة الأنبياء في تركية النفوس لأصحاب خرافات.

¹ - أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي، كتاب التعرّف لمذهب أهل التصوف، تح: أرثر آبري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص5.

² - الكلاباذي، المصدر نفسه، ص128.

³ - أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، ص205، 206.

وتنقسم الرسالة القشيرية إلى ثلاثة أقسام رئيسية: مقدمة في أصول الدين وأدب الشيخ والمريد يتحدث فيها القشيري عن ضرورة التمسك بالشريعة كشرط للدخول في طريق الحقيقة. يبيّن آداب الصحبة بين المريد وشيخه، وأهمية الطاعة، والتواضع، وملازمة الذكر. ثم عرض القشيري تراجم الصوفية الأوائل حيث ترجم لأكثر من مائة إمام من أئمة التصوف الأوائل والغرض منها تقديم نماذج عملية للسلوك الصوفي الصحيح. أصبحت الرسالة القشيرية مرجعاً أساسياً للتصوف السني، وكتاباً تدريسياً في الزوايا والمدارس الإسلامية. ومن أهم النسخ والتحقيقات نسخة دار المعارف، القاهرة. تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف¹.

5- الطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي النيسابوري (325هـ - 412هـ):

أبو عبد الرحمن السلمي ولد بخراسان سنة 325هـ من ابوين صوفيين، من شيوخه الدار قطني والسراج الطوسي، كان له تلاميذ كثير، منهم البيهقي والقشيري والخطيب البغدادي، محدث، مفسر، وصوفي، وكان له تأثير بالغ في المدرسة الصوفية النيسابورية، توفي سنة 412هـ في نيسابور². كتاب الطبقات الصوفية عبارة عن تراجم مرتبة طبقاً لأعلام المتصوفة منذ نشأة التصوف حتى زمن المؤلف. تناول فيه السلمي أحوالهم، وأقوالهم، ومجاهداتهم، ومناهجهم في السلوك، مع ذكر بعض الكرامات والمواقف التي تجلّى طريقتهم في الزهد والعبادة. نُشر الكتاب بتحقيق أحمد الشرباصي، دار الشعب، القاهرة، 1998³.

6- كتاب «آداب السلوك» للإمام عبد القادر الجيلاني (471-561هـ):

صاحب الكتاب هو الإمام عبد القادر بن موسى الجيلاني (471-561هـ) من كبار علماء الحنابلة في بغداد، وشيخ الطريقة القادرية، ولد بجيلان سنة 471هـ، وبها أمضى

¹ - أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، (د. ط)، القاهرة، 1989، ص12.

² - أبو عبد الرحمن السلمي، الطبقات الصوفية، تح: أحمد الشرباصي، مؤسسة دار الشعب، ط2، 1998، ص5، 6.

³ - السلمي، المصدر نفسه، ص6.

شبابه ثم ارتحل إلى بغداد سنة 488هـ، واستقر بها إلى آخر حياته. جمع بين الفقه والحديث والتصوف، وكان خطيباً ومرتبياً. يعد كتابه (آداب السلوك) من المصنفات الروحية التربوية التي تُمثل خلاصة منهجه في التصوف السني العملي، وهو من أهم ما يُنسب إليه في جانب تهذيب النفس، والتربية الروحية، وضبط السلوك الصوفي بالكتاب والسنة¹.

يُعد كتاب (آداب السلوك) دليلاً تربوياً للسالك إلى الله، يرسم فيه الجيلاني معالم الطريق الصوفي الصحيح، مؤكداً أن السلوك الروحي لا يصح إلا على أساس من الشريعة.

يُعد كتاب آداب السلوك من الكتب التأسيسية للطريقة القادرية. أثر في كثير من المصنفات اللاحقة مثل: عوارف المعارف للسهروردي، إحياء علوم الدين للغزالي. من بين طبعات وتحقيقات الكتاب: نسخة دار الكتب العلمية، تحقيق: د. خليل المنصور، بيروت، 1997م.

7- كتاب المنقذ من الضلال لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (450-505هـ/ 1058-1111م):

هو الإمام محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، ولد سنة 450هـ في طوس إحدى مدن خراسان، أحد أعلام الفكر الإسلامي، عُرف بلقب حجة الإسلام، جمع بين الفقه والكلام والفلسفة والتصوف، وكان معلماً في المدرسة النظامية ببغداد، ثم اعتزل التدريس في ذروة شهرته². كتب الغزالي المنقذ من الضلال بعد تجربة فكرية وروحية طويلة، مرّ فيها بمراحل من الشكّ والبحث عن الحقيقة. جاء الكتاب بعد عودته من عزلته التي استمرت نحو عشر سنوات (منذ 488هـ إلى ما بعد 499هـ تقريباً). أراد أن يشرح فيه: كيف وصل إلى الشكّ في مصادر المعرفة. كيف تجاوز ذلك الشكّ إلى اليقين. كيف انتهى إلى التصوف باعتباره الطريق إلى المعرفة الحقيقية.

¹ - أبو محمد عبد القادر الجيلاني، آداب السلوك والتوصل إلى منازل الملوك، تح: محمد غسان نصوح عزقول، دار السنابل، ط1، دمشق، 1995، ص26.

² - أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تح: محمد أبو ليلي ونور عبد الرحيم رفعت، جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن، ص5.

يُعدّ المنقذ من الضلال وثيقة فكرية فريدة في التاريخ الإسلامي، تمثل انتقال الفكر من الفلسفة والكلام إلى التصوف النوراني. أثر في الفكر الإسلامي والمسيحي على حدّ سواء، وتأثر به فلاسفة مثل توما الأكويني وديكارت. يمثل نموذجًا مبكرًا للسيرة الذاتية الفكرية في الإسلام، حيث يمتزج فيه التحليل العقلي بالتجربة الشخصية. من أشهر تحقيقات وطبعات الكتاب: طبعة حققها جميل صليبا وكنعان الجسر، دار الآفاق الجديدة، بيروت. وطبعة دار المنهاج بتحقيق صلاح الدين المنجد. وتُرجم إلى معظم اللغات الأوروبية، منها اللاتينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية.

8- كتاب تلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (510-597هـ / 1116-1201م):

ابن الجوزي عالم موسوعي حنبلي من بغداد، جمع بين الفقه والحديث والوعظ والتاريخ والأدب، وكان شديد الغيرة على الدين، وله أسلوب قوي في النقد والإصلاح. ألف كتاب تلبيس إبليس في القرن السادس الهجري، في زمن انتشر فيه الجدل الكلامي، والتصوف المبالغ فيه، والتعصب المذهبي. أراد به التحذير من مكائد الشيطان في الفكر والسلوك، وبيان كيف يدخل إبليس على الناس من أبواب مختلفة، حتى يجعلهم يظنون أنهم على حق وهم في ضلال. يقع الكتاب في ثلاثة عشر بابًا، مرتبة ترتيبًا منطقيًا يبدأ بالأمر بلزوم الجماعة ثم يتدرج إلى مكائد الشيطان مع أصناف الناس¹. من أهم أبواب الكتاب، الباب العاشر الذي تناول فيه تلبيس إبليس على الصوفية،² وهو من أطول فصول الكتاب وأشهرها. يثني ابن الجوزي على الصوفية الأوائل (كالجنيد وسري السقطي) لالتزامهم بالزهد والسنة. لكنه يهاجم من انحرف منهم نحو الرقص، والسماع، والقول بالحلول أو الاتحاد، أو ترك العمل بدعوى المعرفة القلبية.

¹ - عبد الرحمن بن الجوزي، تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، ص 393 وما بعدها.

² - نفسه، ص 155.

يقول ابن الجوزي: تسلط إبليس على كثير من المتصوفة، فلبس عليهم ترك العلم، وزين لهم الجهل، وقال لهم: إنما المقصود صفاء القلب. وابن الجوزي ليس ضد التصوف كمنهج روحي، بل ضد ما رآه انحرفاً عن الزهد السني إلى البدع والسلوك الغالي. فهو يفرق بين التصوف الصحيح الذي يقوم على الزهد، والورع، واتباع السنة. والتصوف المبتدع الذي يقوم على الدروشة، وترك العمل، والدعوى الكاذبة للولاية. من طبعات الكتاب هناك طبعة حققها كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت. وأخرى لعبد الرحمن الوكيل، مكتبة وهبة.

9- عوارف المعارف لشهاب الدين عمر بن محمد السهروردي (539-632هـ):

صاحب الكتاب هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله الملقب بشهاب الدين السهروردي، كان فقيهاً شافعيًا، صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة، رحل إلى البصرة حيث درس الفقه والأدب، وفي بغداد كان شيخ شيوخها، وكان له مجلساً للوعظ، وكان كثير الحج وتوفي ببغداد سنة 632هـ¹. يعد كتاب عوارف المعارف من أمهات كتب التصوف السني في القرن السابع الهجري، وأحد أهم المراجع التي جمعت بين التنظير الروحي والتربية الصوفية العملية. ألف السهروردي هذا الكتاب ليكون دليلاً للمريدين والسالكين إلى الله، يشرح فيه أصول السلوك الصوفي، وآداب الطريق، ومراتب المقامات والأحوال، مع توجيهات أخلاقية مستمدة من القرآن والسنة. يتألف الكتاب من ثلاثة وستين باباً، تتناول موضوعات متنوعة، منها: بيان معنى التصوف وأصله. آداب المريد مع الشيخ، وشروط الشيخ الكامل. مراتب السلوك والمقامات مثل التوبة، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة. الأحوال والمكاشفات وما ينبغي للمريد أن يتحلى به من صدق وإخلاص. الذكر والخلوة وآدابهما. أحوال الصوفية في المأكل والملبس والسفر والمجالس. بيان آفات الطريق مثل العجب والرياء، وطرق علاجها صار مرجعاً في التربية الصوفية في الزوايا والمدارس. من أشهر

¹ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص447.

طبعات الكتاب طبعة دار المعارف، بيروت، تحقيق عبد الحلیم محمود ومحمود بن الشریف¹.

¹ - شهاب الدین عمر السهروردي، عوارف المعارف، تح: عبد الحلیم محمود ومحمود بن الشریف، دار المعارف، القاهرة، ص 339 - 340.

المحاضرة الثانية:

مفهوم التصوف:

إن الإسلام الحقيقي هو اتباع ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى والإيمان به، وقد نُقلت إلينا تعاليم الإسلام من النبي عليه السلام، عن طريق صحابته الذين أخذوا عنه الشريعة، وكذلك أخذها عنهم الذين تبعوهم وسمّوا باسم التابعين، ومن هؤلاء من تخصص بالحديث النبوي، وتقرّد بعضهم بعلم التفسير وتقرّد بعضهم بعلم الفقه، وتقرّد بعضهم بعلم التربية والسلوك، وقد دَوّنت العلوم المنقولة وسميت بأسماء ومصطلحات، فسمي من اشتغل بالحديث محدثاً، ومن اشتغل بالتفسير مفسراً، ومن اشتغل بالفقه فقيهاً، ومن اشتغل بالتربية والسلوك صوفياً. وكل هذه الأسماء لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس كل اسم أو وصف لم يأت في القرآن أو السنة، يحرم التسمي به، فقد سمّى الله سبحانه وتعالى المسلمين بأسماء عديدة (السابقين، المقربين، الصادقين، الشهداء، الأولين..). فكل اسم ذكر له اشتقاق، وكذلك بالنسبة للتصوف الذي كثرت فيه الأفاويل.

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتصوف:

1- المفهوم اللغوي:

تعددت الآراء واختلفت وجهات نظر الباحثين ومؤرخي التصوف في الأصل الاشتقائي اللغوي لمفهوم التصوف، ولقد ورد مفهوم التصوف في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معانٍ، منها اشتقاق كلمة التصوف من فعل صَوّف جعله صوفياً، وتصوّف صار صوفياً، أي تخلّق بأخلاق الصوفية. والصوفية فئة من المتعبدين، واحدهم الصوفي. وإطلاق كلمة (صوف) على الصوف المعروف من شعر الحيوانات¹، قال الله تعالى: (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين)².

¹ - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1987، ج24، ص41، 42، 43.

² - سورة النحل، الآية 80.

والطوسي أيضا يؤكد ذلك بقوله: "فكذلك الصوفية عندي تُسبوا إلى ظاهر اللباس، ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها متمرسون؛ لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام، والصديقين، وشعار المساكين المتسكين¹. فلبس الصوف خشن، وكانوا يؤثرون لبسه دليلا على التقشف والخشونة. وقيل إن الصوفية ينتسبون إلى الصفاء، وأنهم سموا صوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم، وهذا يرجع إلى حال الصوفية، وليس إلى الاشتقاق اللغوي، ويرى القشيري أن هذا غير صحيح؛ لأن نسبة الصفاء هي صفائي²، وينقل الكلاباذي مختلف الآراء حول مفهوم التصوف، فهناك من يقول أن الصوفي من صفا قلبه لله، وأنهم سموا صوفية لصفاء أسرارهم ونقاء آثارهم، وقال بعضهم الصوفي من صفت لله معاملته، فصفت له من الله كرامته، وقال قوم إنما سموا صوفية للباسهم الصوف، كما تنسب أيضا إلى أهل الصُفَّة الذين نزلوا في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فهم الرعيل الأول من رجال التصوف³. ويقول الحسن البصري: "لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف"⁴.

ويرى القشيري أن لفظ الصوفية لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ولا في اللغة العربية " وليس يشهد لهذا الاسم (تصوف) من حيث اللغة قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال إنه من الصوف، وتصوف إذا لبس الصوف، كما يقال تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، ومن قال إنهم منسوبون إلى صُفَّة مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فبالنسبة إلى الصُفَّة لا تجيء على نحو الصوفي، ومن قال من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى

¹ - الطوسي، اللمع، ص 41.

² - القشيري، الرسالة القشيرية، ص 464.

³ - الكلاباذي، المصدر السابق، ص 5.

⁴ - يوسف خطار محمد، الموسوعة اليوسفية في بيان الأدلة الصوفية، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،

2003، ص 23.

اللغة، وقول من قال إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث الحاضرة من الله تعالى ، فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصف¹.
وذهب بعض المستشرقين كنيكلسون وجيوم ونولدكه إلى أن النُّسَّاك المسلمين الذين أخذوا لفظ المتصوفة اسمًا لهم إنما لبسوا الصوف محاكاة لرهبان المسيحيين. ويقول أحمد أمين في كتابه "ظهر الإسلام": "وقد اختلف الناس في نسبة الكلمة هل هي من الصُّفَّة، أو من الصفاء، أو من صوفيا وهي باليونانية بمعنى الحكمة. أو من الصوف. ونحن نرجح أنها نسبة إلى الصوف لأنهم في أول أمرهم، كانت هذه الفرقة تلبس الصوف اخشيشانا وزهادة، كما نرجح أنها كانت ترتكن في أول أمرها على أساس إسلامي"².
من هذه التعريفات وغيرها يتضح لنا الاختلاف في التعريف اللغوي لمفهوم التصوف، فلم يتم الاتفاق على تعريف واحد يكون جامعا لهذا المفهوم.

2- اصطلاحا:

مفهوم التصوف من المفاهيم التي لم يتفق على تعريفها لغة واصطلاحا، فمن الصعب أن نحصر تعريفا جامعا مانعا للتصوف؛ لأن التصوف مر بالعديد من الأدوار والمراحل والتغيرات، فلا بد أن يختلف مفهوم التصوف من عصر لآخر، بالإضافة إلى أن التصوف تجربة روحية فردية، وهذه التجربة تختلف من شخص إلى آخر.
يعرفه الجرجاني بأنه: "تصفية القلب من موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولى على السرمدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في الشريعة"³. وينقل العلامة أبي حامد الغزالي تعريفات للتصوف عن غيره فيقول: "هو طرح النفس في العبودية وتعلق القلب بالربوبية"،

1 - القشيري، الرسالة القشيرية، ص464.

2 - أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 2013، ج4، ص150.

3 - علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1958، ص62.

ويعرفه في موضع آخر بأنه "تصفية القلب عن مرافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية، واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة". ودائماً نقلاً عن الغزالي "حكم الصوفي أن يكون الفقر زينته والصبر حليته والرضى مطيته والتوكل شأنه، والله عز وجل وحده حسبه، يستعمل جوارحه في الطاعات وقطع الشهوات، والزهد في الدنيا والتورع عن جميع حظوظ النفس¹". ويعرّف رويم البغدادي التصوف بقوله: "التصوف مبني على خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل، وترك الغرض والاختيار"، وقال الكرخي: "التصوف هو الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق"، وقال الجنيد: "أن تكون مع الله بلا علاقة"، أي بلا علاقة تربطك بالخلق، فتكون مع الله والله وحده².

ويعرّف ابن خلدون التصوف بقوله هو: "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"³. والتصوف كما يقول أحمد أمين؛ ليس فرقة مستقلة كالمعتزلة والشيعة وأهل السنّة، ولذلك يصح أن يكون الرجل معتزلي صوفي أو شيعي صوفي أو سني صوفي، بل وقد يكون نصرانياً أو يهودياً أو بوذياً وهو متصوف⁴.

ثانياً-مواضيع التصوف:

تتخصر مواضيع التصوف حسب ابن خلدون في أربعة أغراض أساسية:

1- المجاهدات وما يحصل من الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال لتحصل تلك الأذواق التي تصير مقاما ويترقى منه إلى غيره.

¹- أبو حامد محمد الغزالي، روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار النهضة الحديثة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص 29.

²- أحمد أمين، المرجع السابق، ص 153.

³- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 4، 1981، ص 467.

⁴- أحمد أمين، المرجع السابق، ج 4، ص 173.

2- الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل: الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتركيب الأكوان في صدورهم عن موجودها وتكونها.

3- التصرفات في العوالم والأكوان بأنواع الكرامات.

4- ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فمكرر ومحسن ومتأول¹.

ويعني هذا أن التصوف يبني على أربعة مقومات جوهرية، وهي: المجاهدات، والتجليات الغيبية، والكرامات، والشطحات. وقد دافع ابن خلدون عن أصحاب المجاهدات والتجليات الغيبية والكرامات الخاصة بالمتصوفة والأولياء الصالحين وميزها عن المعجزات الخاصة بالأنبياء، كما اعتبر صاحب الشطحات معذورا؛ لأنه يكون في حالة سكر وانتشاء ذوقي لا يعي ما يقوله أو ما يردده من أقوال أو ألفاظ أو مرويات.

ويمكن القول بأن التصوف عبارة عن رحلة روحانية أو سفر معراجي له بداية ونهاية ووسط، فالبداية هي التطهير والهروب من الدنيا الزائفة، والوسط هي الخلوة والرياضة الروحية والمجاهدة الصوفية، أما النهاية فهي اللقاء والوصال اللدني.

ويتبين لنا - مما سبق ذكره- أن التصوف في دلالاته اللغوية الاشتقاقية مرتبط بالصوف، بينما في حمولاته الاصطلاحية عبارة عن تجربة روحية يمارسها إنسان متصوف، يعتمد على الذوق والكشف والمجاهدة الروحانية بعد التخلص من برائن الجسد وأدرانه البدنية، والابتعاد عن ملذات الحياة ونبذ شهوات الدنيا الزائلة. وبيننا أيضا أن التصوف يدرس أربعة مواضيع أساسية، وهي: المجاهدات، والكرامات، والشطحات الصوفية، والتجليات الغيبية.

¹ - ابن خلدون، المقدمة، ص 473 - 474.

المحاضرة الثالثة:

التصوف الإسلامي نشأته ومراحل تطوره:

يُعدّ التصوف الإسلامي ظاهرة روحية وفكرية نشأت في أحضان الإسلام تعبيراً عن النزعة الزهدية والرغبة في السمو الروحي والتقرب إلى الله تعالى. ظهرت بوادره الأولى في القرن الأول الهجري في شكل زهدٍ وعبادةٍ خالصة، ثم تطورت في القرنين الثالث والرابع إلى مذهبٍ روحي منظم له مفاهيمه الخاصة كالمقامات والأحوال والفناء والبقاء. ومع القرون اللاحقة، اتخذ التصوف طابعاً مؤسسياً من خلال الطرق الصوفية التي انتشرت في المشرق والمغرب، فغدا قوة دينية وثقافية مؤثرة في الحياة الإسلامية. إن تتبع نشأة التصوف ومراحلها يكشف عن مسارٍ من التحول من الزهد الفردي إلى بناءٍ فكري واجتماعي متكامل يعكس العمق الروحي للحضارة الإسلامية.

أولاً - نشأته:

تتحدث بعض الروايات عن ظهور التصوف خلال العصر الجاهلي، وأبرز هذه الروايات روايتان: رواية مفادها أن امرأة لم يكن يعيش لها أولاد، فنذرت لئن عاش لها ولد، لتربطه بالكعبة، فلما أنجبت ولداً ربطته بالكعبة، فاسترخى من شدة الحر، فقالت: "ما صار ابني إلا صوفة"، فسمي صوفة، ولما كبر وصار خادماً لبيت الله الحرام، اقتدى به جمهور من الناس سكنوا الكعبة، وانقطعوا للعبادة فسموا بالصوفية، ثم صارت كلمة صوفي تطلق على كل من قام بشيء من أمر المناسك¹. أما الرواية الثانية فقد أوردتها السراج الطوسي نقلاً عن كتاب أخبار مكة، مفادها أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في بعض الأزمنة، حتى كان لا يطوف بالكعبة أحد، سوى رجل يعرف بصوفي يجيء من بلد بعيد، فيطوف بالبيت وينصرف².

¹ - ابن الجوزي، تلبس إبليس، ص 155.

² - الطوسي، اللع، ص 43.

بينما تجمع أغلب المصادر على أن ظهور التصوف كان قبل المائة الثانية للهجرة، وفي الصدر الأول من الإسلام لم تكن هناك حاجة للتصوف، نظرا لقرب الصحابة من الرسول صلى الله عليه وسلم واتصالهم به، وكان التصوف في بدايته يعرف باسم الزهد، وأهله يعرفون باسم الزهاد والنساك، ووجد رجال كثيرون من أول الإسلام عرفوا بالزهد كرجال الصُّفَّة وأبي ذر الغفاري، وحذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي، ثم جاء من بعدهم الحسن البصري(ت/ 110هـ)، ثم جاء من بعده إبراهيم بن أدهم(ت/ 161هـ)، ثم ذو النون المصري(ت/ 245هـ)، ثم الإمام الجنيد(ت/ 298هـ) والقشيري(ت/ 465هـ)¹.

ويذكر ابن تيمية في كتابه (الصوفية الفقراء)، أن أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة التصوف بعض أتباع الحسن البصري². وعند نشوء التصوف في القرن الثاني لم يكن لمعتقيه أمكنة خاصة يؤدون فيها شعائرهم، إنما كانوا أفرادا متفرقين، وقد يكون لبعضهم تلاميذ³. والتصوف في العصر الأول كان إسلاميا بحتا، وظل كذلك طول العهد الأموي، فلما دخل في الإسلام كثير من الأمم الأخرى وأهل الديانات الأخرى كالنصارى واليهود والفرس والهنود، وانتشرت الفلسفة اليونانية استمد التصوف من كل هذه المنابع.

ثانيا - مراحل تطور التصوف:

لا شك أن التصوف الإسلامي قد مر بعدة أدوار ومراحل تاريخية، وقد تميز كل دور بخصائص مميزة، ولمع فيها العديد من الشخصيات التي كان لها تأثير كبير في بيئتها المعاصرة وفي العصور اللاحقة، والواقع أن التجارب الروحية والنفسية التي مر بها

¹ - يوسف خطار محمد، الموسوعة اليوسفية في بيان الأدلة الصوفية، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2003، ص23.

² - أحمد بن تيمية، الصوفية والفقراء، دار المدني للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص15.

³ - أحمد أمين، المرجع السابق، ج4، ص154.

المتصوفة المسلمون لا تقتصر فيها على كونها تجارب شخصية أو فردية، وإنما تمتد بعضها ليصبح تجارب إنسانية بالغة العمق¹.

1- المرحلة الأولى (مرحلة القرنين الأول والثاني الهجريين):

ويمكن أن نسميها مرحلة الزهد، ونشأت تحت تأثير عوامل إسلامية صرفة وكان لنشأتها سببان:

السبب الأول: تعاليم الإسلام، التي منبعا القرآن والسنة والتي تدعو إلى الزهد والتبتل والعبادة وقيام الليل. وهناك العديد من نصوص القرآن والحديث النبوي التي كانت تحث على الزهد والتقشف في الحياة والاستعداد للموت وترك الدنيا؛ لأنها دار غرور وزينة وخداع وخيلاء. يقول تعالى: (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)²، ويقول أيضا: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)³، ويقول أيضا: (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض)⁴.

ومن الآيات الدالة على الحب الإلهي ما قاله تعالى: (والذين آمنوا أشد حبا لله)⁵، وفي الحديث النبوي الشريف: (نعم العبد صهيب! لو لم يخف الله لم يعصه).

والسبب الثاني: اتساع الرقعة الإسلامية، وما نتج عنها من حياة البذخ والترف التي صاحبت الفتوحات الإسلامية، واطلاعهم على حضارات وثقافات الشعوب الأخرى، فأثار ذلك حفيظة مجموعة من المسلمين، فاعتزلوا حياة البذخ والترف، والحياة السياسية وإراقة الدماء كمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومقتل عدد من الصحابة، جعل بعض من المسلمين يعتزلون الحياة تعففا منهم، والاتجاه إلى القرآن والسنة،

¹ - حامد طاهر، الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1991، ص 27.

² - سورة التكاثر، الآية 2، 1.

³ - سورة الكهف، الآية 46.

⁴ - سورة الكهف، الآية 45.

⁵ - سورة البقرة، الآية 165.

فظهر الزهد، ومن أشهر متصوفة هذا العصر، الحسن البصري (ت/110هـ)، إبراهيم بن أدهم (ت/161هـ)، الفضيل بن عياض (ت/187هـ)، معروف الكرخي (ت/200هـ)¹.

2- المرحلة الثانية: (مرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين):

لم يعد الزهد في هذه المرحلة فرديا بل أصبح حركة منتظمة يطلق عليها التصوف، وأخذ الصوفية يتحدثون في مواضيع جديدة كالسلوك والمقامات والأحوال والمعرفة ومناهجها والتوحيد والفناء، وهناك نوعان من التصوف في هذين القرنين:

أ- **التصوف السني**: يتقيد بالكتاب والسنة ويعتمد عليهما باعتبارهما مصدرين من مصادر التصوف، ويتعد هذا النوع من التصوف عن الشطحات الصوفية والكرامات. وكان التصوف في هذه الفترة يصارع كل التيارات الفكرية المعارضة والمنافسة له، ويبحث عن حقه في الوجود، ويسعى جاهدا لمد نفوذه على كامل الحياة الاجتماعية، ومن أبرز أعلام هذه الفترة الحارث المحاسبي (ت/243هـ)، وذو النون المصري (ت/245هـ)، والجنيد (ت/298هـ) والحلاج (ت/309هـ)، ورابعة العدوية (ت/235هـ)².

ومن أهم قواعد التصوف السني التي يرتكن إليها احترام مبادئ القرآن والسنة والإجماع، وتطبيق شعائر الدين، والسعي في الدنيا بحثا عن الرزق وتمجيد العمل والشغل؛ لأنه زاد الدنيا والآخرة، علاوة على احترام خصوصيات الشرع في تأويل الظاهر والباطن، وعدم إظهار ذلك لعامة الناس. كما يتعد هذا النوع من التصوف عن الشطحات الصوفية والكرامات الخارقة التي تخالف الشرع الرباني. ويعلي المتصوفة السنيون من قيمة الأنبياء بالمقارنة مع الأولياء والشيوخ والأقطاب. ويستمد التصوف السني مبادئه وتعاليمه ومجاهداته الذوقية من المصادر الداخلية للفكر الإسلامي أي من القرآن والسنة.

¹ - عفاف مصباح بلق، التصوف الإسلامي (مفهومه - نشأته وتطوره - مصادره)، مجلة كليات التربية، العدد 14، 2019، ص 199.

² - المرجع نفسه، ص 199.

ب- **التصوف الفلسفي:** لم يظهر التصوف الفلسفي في العالم الإسلامي إلا في القرن الثاني الهجري إبان الدولة العباسية مع اختلاط مجموعة من الشعوب والأجناس مع العرب المسلمين (الفرس والهنود والروم...)، وازدهار حركة الترجمة بتأسيس بيت الحكمة في عهد المأمون لنقل الفكر اليوناني، وانتشار المدارس الدينية والفلسفية في معظم أرجاء الدولة الإسلامية، فساعد كل هذا في تلقيح التصوف الإسلامي بملامح خارجية أبعدته عن الصواب وجعلته فكرا منحرفا متأثرا بالأفكار الأجنبية الضالة كالغنوصية والهرمسية وأفكار الشيعة والرافضة المبتدعين. وفي هذا يقول أحمد أمين: " ولكن لما فتحت الفتوح الإسلامية واختلطت الثقافات المختلفة وكانت تموج في المملكة الإسلامية الفلسفة اليونانية، وخاصة الأفلاطونية الحديثة والنصرانية والبوذية والزرادشتية، وجدنا أن هذا الزهد وهذا الحب الإلهي ينتقلان، وتتسرب إلى التصوف بعض تعليمات من كل هذا¹.

ومن أهم النظريات في التصوف الفلسفي نظرية الفناء في الله وهي نظرية أبي يزيد البسطامي الفارسي وتحيل على فكرة الاتصال بالله والتفكير فيه، وهذه الفكرة معروفة في الديانة البوذية باسم نرقانا. وقوام هذه النظرية التي انتشرت بين الفلاسفة المتصوفين أن الفناء يتخذ مظهرين: الأول بتغيير أخلاقي تبتعد فيه الروح عن أدران الجسد والابتعاد عن الشهوات ولذات الحياة، **والمظهر الثاني** ينصرف الفكر فيها عن كل الموجودات إلى التفكير في خالقها وموجدها والاتصال به عرفانا. ومن ثم، فالمظهر الأول نفساني والثاني عقلائي. ويصف السري السقطي من وصل به الأمر إلى حالة الفناء بقوله: "إنه لو ضرب بسيف على وجهه لما شعر به"².

3- المرحلة الثالثة: (مرحلة القرن الخامس للهجرة):

رسمت هذه الفترة الملامح المميزة والخطوط العريضة للمذهب الصوفي، كما امتازت هذه الفترة بمحاولة التوفيق بين التصوف وخصومه، وكان انتصار التصوف في هذه

¹ - أحمد أمين، المرجع السابق، ج4، ص150.

² - المرجع نفسه، ج4، ص155.

الفترة على يد الإمام الغزالي (ت/505هـ) صاحب كتاب الإحياء الذي كان له المكانة البارزة بين كتب التصوف، فقد استطاع الغزالي أن يجعل التصوف مقبولاً لدى جميع العلماء، ولدى أصحاب النفوذ والحل والعقد في المجتمع الإسلامي، كما أزاح الشكوك التي كانت تحوم حول التصوف وخاصة عند علماء الشريعة، كما شهدت هذه الفترة ازدهاراً في المؤلفات الخاصة بالتصوف مثل مؤلفات السراج الطوسي (ت/378هـ) وخاصة كتابه (اللمع في التصوف)، والكلاباذي (ت/380هـ) بكتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف)، وأبو طالب المكي (ت/386هـ) بكتابه (قوت القلوب)، والقشيري (ت/465هـ) بكتابه (الرسالة القشيرية).

4- المرحلة الرابعة: (مرحلة القرنين السادس والسابع الهجريين):

تميزت هذه المرحلة بظهور (التصوف المذهبي أو الطريقي)، فبعد أن كان التصوف سلوكاً فردياً انتقل ليكون مسلكاً جماعياً، وسيكون للمريد العارف قطباً يهديه ويرشده؛ لأنه من الصعب أن يتعلم المرید في غياب الشيخ والقطب، أو يسافر بعيداً في حضرته الصوفية وتعالجه الذوقي دون مرافق يساعده على تحمل مشقة السفر أو الحج. ومن هنا، ظهرت طرق ومذاهب صوفية كثيرة تنسب إلى شيخ بعينه، أو قطب بارز له أتباع كثيرون، يتبعون مسلكه في المعرفة اللدنية، وبعد ذلك، ينتقل مشعل الوراثة الصوفية أو سبحة الولاية من شيخ إلى آخر بعد الإجازة والتوصية.

وقد انتشرت في العالم الإسلامي كثير من الطرائق الصوفية قديماً وحديثاً، واقتربت بالزوايا والروابط والمساجد، فهناك الطريقة الأحمدية التي تنسب إلى أحمد البدوي وانتشرت في مصر إبان الظاهر بيبرس، وهناك طريقة صوفية أخرى تنسب إلى أبي العباس أحمد بن عمر المرسي من مرسية بالأندلس، وهي بدورها انتشرت بمصر. كما توجد عدة طرائق صوفية مشهورة كالطريقة التيجانية والطريقة الشاذلية، والطريقة العلوية والطريقة القادرية، والطريقة البودشيشية والطريقة الدلائية، والطريقة الجيلانية والطريقة العيسوية، والطريقة الناصرية والطريقة الحراقية.

المحاضرة الرابعة:

مصادر التصوف:

لا شك أن التصوف في مراحل تطوره المختلفة قد تأثر بمصادر متعددة، يأتي في مقدمتها القرآن الكريم الذي دعا إلى الإخلاص والتقوى والزهد في الدنيا، والسنة النبوية التي جسدت السلوك الروحي العملي في حياة النبي ﷺ وأصحابه. كما تأثر التصوف لاحقاً ببعض العناصر الفلسفية والثقافية التي انتقلت إلى البيئة الإسلامية من خلال الترجمة والاحتكاك بالحضارات الأخرى، مما أسهم في صياغة مفاهيمه ومصطلحاته الفكرية.

إن تتبّع هذه المصادر يُظهر أن التصوف لم يكن ظاهرة طارئة على الإسلام، بل تطور طبيعي لنزعة داخلية أصيلة في الدين تهدف إلى تحقيق الكمال الإنساني عبر محبة الله ومجاهدته للنفس.

أولاً - المصادر الداخلية:

التصوف الإسلامي منبعه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهما عبارة عن مدرستين عمليتين لتطبيق العقيدة والشريعة، والسلوك الإسلامي الصحيح للصحابة والتابعين، فهو تطبيق عملي لأحكام الشريعة والموعظة الحسنة، فلا شك أن المصادر الداخلية هي السبب في النشأة؛ لأنها أكثر تأثيراً من المصادر الخارجية.

1- القرآن الكريم:

يتضمن القرآن الكريم العديد من الآيات التي تشير إلى الإعراض عن الدنيا والتوجه إلى الآخرة (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد)¹، كما يحتوي على آيات تشير إلى المقامات والأحوال عند الصوفية، فهذه الآيات تشير إلى التقوى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً)². وأيضاً إلى

¹ - سورة الحديد، الآية 20.

² - سورة النساء، الآية 77.

التوكل (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)¹. وإلى الرضا (رضي الله عنهم ورضوا عنه)². وفي الأحوال هناك آيات تشير إلى الحزن (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)³، والخوف (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون)⁴. والذكر (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيراً)⁵. والدعاء (ادعوني أستجب لكم)⁶. فالقرآن الكريم يدعو إلى الزهد ويؤكد عليه في الكثير من آياته، حتى يتمكن الإنسان من أن يظهر قلبه، عن طريق التعبد والتسك ويكسب هناك اتصال بين الله والعبد، وهذا ما فسح المجال أمام الصوفية.

2- السنة النبوية:

السنة النبوية هي أعمال وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، وقد وجدت الصوفية من أعمال وحياة وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام مرشداً لها، كما اتخذتها الصوفية أساساً لحركتها وطريقها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً للزهد، حتى قبل نزول الوحي عليه، فكان يتعبد في غار حراء، زاهداً ومتأملاً في الحياة، مما جعل الصوفية يستمدون مشروعية اعتزالهم وزهدهم في الحياة من زهد النبي في الأكل والشرب واللباس، وتعبد في الغار. وكان يقول عليه السلام في التوبة: (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنني أتوب في اليوم مائة مرة). ويقول في الزهد: (ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال، بيت يسكنه، وثوب يوارى عورته)⁷. وفيما يرويه النبي عليه السلام عن ، قال تعالى: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره

¹ - سورة التوبة، الآية 51.

² - سورة البينة، الآية 8.

³ - سورة فاطر، الآية 34.

⁴ - سورة الأحزاب، الآية 16.

⁵ - سورة التوبة، الآية 41.

⁶ - سورة غافر، الآية 60.

⁷ - عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999، ص37-38.

الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)¹.

ثانيا - المصادر الخارجية:

1- الديانة المسيحية:

هناك من الباحثين من يرد التصوف إلى أصول مسيحية، معللا ذلك بانتشار المسيحية في ربوع الجزيرة العربية والبلاد التي امتد إليها الفتح الإسلامي، وإلى جانب أن معظم من قام بحركة الترجمة في العصور الإسلامية كانوا من النصارى، كما ذكر بعض مؤرخي الفرق أن بعض متصوفة الإسلام كان في الأصل مسيحياً². وقد رويت أحاديث كثيرة عن تلاقي بعض الصوفية برهبان نصارى، مثل ما رواه المبرد في الكامل، وملخصه أن راهبين قدما من الشام إلى البصرة، عرض أحدهما على الآخر أن يذهبا لزيارة الحسن البصري، لأن حياته كحياة المسيح. وهناك روايات كثيرة عن صوفية نزلوا ديار النصارى كما رووا آيات من الإنجيل، ويعتدون ما أخذه الصوفية المسلمون من المسيحية؛ لبس الصوف، إذ كان كثير من الرهبان يلبسونه، كما أخذوا عنهم الكلام في حب الله³.

إلا أن هذه الأدلة التي ذكرها الباحثون تبقى مجرد فرضيات، فالمسيحيين الذين دخلوا الإسلام لم تبقى أفكارهم ملتصقة بهم، بل نبذوها مرة واحدة عند إسلامهم.

2- الديانة الفارسية:

من الباحثين من يرى أن التصوف الإسلامي قد تأثر بالديانة الزرادشتية عند قيام الدولة العباسية، ويستدلون على ذلك بأن الذين تولوا مهمة التدوين والترجمة في العهد العباسي كانوا من الفرس، وقد نقلوا أفكارهم الفارسية إلى المجال الإسلامي في كل شأن من شؤون الحياة، والدليل الثاني أن هناك صلات بين العرب والفرس، كما أن جزءا كبيرا من

¹ - عبد الحكيم قاسم، المرجع السابق، ص38.

² - عادل محمود بدر، دراسات في الفلسفة الصوفية عند الإسلاميين بمنظور جديد، مصر، 1992، ج1، ص17.

³ - أحمد أمين، المرجع السابق، ج4، ص155-156.

شيوخ التصوف أصلهم فارسي، ومن هنا يكون التصوف الإسلامي قد تأثر إلى حد كبير بأفكار وقيم ومبادئ الفرس¹.

والديانة الفارسية هي ديانة زرادشتية انتشرت في إيران والمدن المجاورة لها وأصبح لها رجال دين هم طبقة الكهنة، وجمعت تعاليمها في كتاب يسمى (أبستاق)، وجوهر هذه الديانة أنها تؤمن بوجود إله أعظم، عالم بالماضي والحاضر وهو خالق الخلق، كما تعتقد هذه الديانة أن الخلاص من القيود المادية إلى الحياة الروحية، لا يكون إلا بالطهارة الخالصة عن طريق التحرر النهائي من الجسد وقيوده.

أما أصحاب الرأي المعارض في ذلك، فيرون أن هذه أدلة ليست قاطعة في حد ذاتها، مستدلين بأن الدولة المغلوبة دائما تتأثر بالدولة الغالبة، وأن المسلمين من الفرس آمنوا بالإسلام بدون ضغوط، تاركين معتقداتهم القديمة، مستقنين أفكارهم من المنبع الجديد (القرآن الكريم)، وهو المنبع الأصلي للصوفية، ويغني عن كل منبع آخر².

3- الديانة البوذية (الهندية):

البوذية هي ديانة نشأت في القرن السادس قبل الميلاد على يد رجل هندي يسمونه بوذا وينسجون حوله الأساطير ويدعون أنه ابن الإله، ولما مات دفن وصعد إلى السماء، وأنه سيعود إلى الأرض ليعيد السلام والبركة فيها، وتقوم العقيدة البوذية على تناسخ الأرواح، ويرى الباحثون أن وجه تلاقي الصوفية الإسلامية مع الديانة البوذية، هو في التأمل والحلول الذي قال به حكماء الهند، فالكهنة يصلون بالتأمل إلى الكمال الروحي ومنه إلى الحلول، وأيضا إلى التناسخ والفناء حيث تخرج الروح من جسد لآخر، والفناء المطلق هو عودة الروح إلى أصلها وتحل في الله³.

¹ - عبد الحكيم قاسم، المرجع السابق، ص30.

² - المرجع نفسه، ص30.

³ - عفاف مصباح، المرجع السابق، ص205.

ويرد أصحاب الرأي المؤيد للصوفية بأن هذه ليست أدلة كافية، والتناسخ لا يشبه الفناء، لأن التناسخ معناه حلول الأرواح من جسد لآخر، أما الفناء فمجرد نظرية فلسفية فقط، وأن الصوفية نشأت إسلامية مستمدة تعاليمها من الكتاب والسنة.

4- الديانة اليهودية:

عندما تعرض اليهود إلى السبي والنفي إلى بابل سنة (586 ق.م)، ونتيجة لاحتكاكهم بالفرس نقل اليهود إلى معتقداتهم بعض أفكار الديانة الزرادشتية كالاعتقاد بالأرواح الشريرة، ويرى بعض الباحثين أن الصوفية الإسلامية قد تأثرت إلى حد كبير باليهودية، ويستدلون على ذلك بأن بعض اليهود قد دخلوا الإسلام ووضعوا كثيرا من الأحاديث التي تسمى بالإسرائيليات، وأن نظريتي التشبيه والتجسيم لدى اليهود تشابه نظرية الاتحاد والحلول لدى الفلسفة الإسلامية¹.

لكن مؤيدي الصوفية يعترضون على هذه الأدلة، كونها غير كافية ولا تدل على أن التشبيه والتجسيم والتكلم جهرا والانتقال والاستواء، من أفكار الصوفية، وإنما هذا دخيل عليها وملصق بها حتى يعتقد الناس أن الصوفية خرجت عن المنهج الإسلامي، وينادي مؤيدو الصوفية بقولهم إن هناك فرقا بين التصوف والفلسفة؛ فالصوفية قد أخذت من المنبع الأساسي الإسلامي، أما الفلسفة فهي ناقله عن المنبع اليوناني القديم².

5- الفلسفة اليونانية:

تأثر التصوف الإسلامي بالمصدر اليوناني، وحركة الترجمة التي حدثت في العصر العباسي، والبعض يرجع الصوفية إلى أصول يونانية لأنها مشتقة من كلمة صوفيا اليونانية، والتي تعني الحكمة، أكد نيكلسون على معرفة المسلمين بالفلسفة اليونانية والأفلاطونية المحدثة، ويدور مذهب أفلاطون حول الله والنفس والعقل؛ فالله جوهر المذهب، والنفس جوهر كريم، والعقل جزء يهيم باشتياق إلى الله، ومبادئ هذه الأفلاطونية نجدها عند

¹ - عبد الحكيم قاسم، المرجع السابق، ص32-33.

² - المرجع نفسه، ص33.

المتصوفة أمثال ابن عربي وابن الفارض والحلاج والسهروردي، وغيرهم ممن تغنى بالحب الإلهي ووحدة الوجود والإشراق، فالحب الصوفي هو حب فلسفي¹.

إلا أن كثير من الباحثين ينكرون وجود علاقة بين التصوف والديانات القديمة أو الفلسفة اليونانية، وإن وجدت بعض الأفكار الأفلاطونية فهي تشبه في العوارض والعموميات لا في الخصائص والجوهر، خاصة في الحب الإلهي الذي انطوت معانيه في آيات قرآنية كثيرة، فأصحاب هذا الرأي يردون التصوف إلى أصوله العربية؛ فالغزل العذري تطور إلى الغزل الإلهي، والوصف القديم تطور إلى وصف الذات الإلهية، والمدح العربي تطور إلى المدائح النبوية. ويرى الباحثون أن اليونانيين في حد ذاتهم وثنيون، وأن قيمهم ومبادئهم وأخلاقهم وتراثهم، مستمدة من هذه الوثنية. فهم يحاربون من يأخذ عنهم أو يميل إلى أفكارهم أو يعتنقها. فمن الغريب فعلاً أن تعتقد أواصر روحية بين التصوف وهذه الأفكار اليونانية².

¹ - عبد الحكيم قاسم، المرجع السابق، ص 43.

² - المرجع نفسه، ص 46.

المحاضرة الخامسة

التصوف الإسلامي من خلال الرؤية الاستشراقية:

لقد أثار التصوف انتباه الأوروبيين - من مستشرقين وعلماء تاريخ وأديان واجتماع وغيرهم- منذ القرن التاسع عشر، فعني المستشرقون به عناية بالغة؛ فبحثوا في جذوره وتاريخه، وبحثوا كذلك في رموز المتصوفة وألّفوا فيهم، بل إن لهم قدم سبق على معاصريهم من المتصوفة في تحقيق ونشر الكثير من تراث التصوف. ويذكر محمد الشراقوي أن أول كتاب نشره المستشرقون عن التصوف كان عام 1821م للألماني "تولك"، بينما بدأ الباحثون المسلمون في ذلك في الربع الأول من القرن العشرين، متلمذين على بحوث الغربيين بصورة مباشرة أو غير مباشرة¹.

وأما عن طبيعة هذه العناية الاستشراقية بالتصوف فيقول محمود حمدي زقزوق: "يؤكد الاستشراق بوضوح ظاهر على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية، والبهائية، والقاديانية، والبكداشية، وغيرها من فرق قديمة وحديثة، ويعمل على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة. والمستشرقون يَعدّون المنشقين عن الإسلام على الدوام، أصحاب فكر ثوري تحرري عقلي، ودائماً يهتمون بكل غريب وشاذ².

أولاً- تعريف الاستشراق:

تعددت تعاريف المستشرقين بحسب تجربة كل مفكر أو باحث ورؤيته للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي في العالم الإسلامي، وعلاقته مع المستشرقين الذين تنوعت بيئاتهم وثقافتهم ونظراتهم للحضارة والفكر والتاريخ لدى العرب والمسلمين، ومن هذه التعاريف:

¹ - صالح بن عبد الله الغامدي، المستشرقون والتصوف، مجلة العلوم الإسلامية الدولية، جامعة المدينة العالمية، المجلد6، العدد الخاص 1، 2022، ص173.

² - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، القاهرة، ط2، 1989، ص140.

1- هم الباحثون والكتّاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر والحضارة في الإسلام. يقول مالك بن نبي: إننا نعني بالمستشرقين الكتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى (طبقات): طبقة القدماء مثل "جربر دوريباك" و"القديس توماس الأكويني"، وطبقة المحدثين مثل "كاره دوقو" و"جولد تسيهر". وهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها، المشوهين لسمعتها¹.

2- هم الذين يحاولون بأبحاثهم ودراساتهم إيجاد طريقة للوصول إلى تلاؤم مع الشرق مبنية على منزلة الشرق الخاصة في التجربة الأوروبية الغربية، فالشرق ليس لصيقاً بأوروبا وحسب، بل إنه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوربا وأغناها وأقدمها ومصدر حضاراتها ولغاتها ومنافسها الثقافي وأحد صورها الأكثر عمقا وتكرار حدوث للآخر، وإضافة فقد ساعد الشرق على تحديد أوربا (أو الغرب) بوصفه صورتها وفكرتها وشخصيتها وتجربتها المقابلة.

3- هم كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه، أو البحث في تاريخه أو آدابه أو لغاته، وفي كل جوانبه، ويقصد بالشرق هنا العالم العربي أو العالم الإسلامي، وكلاهما يقع في شرق الغرب الأوربي والأمريكي.

الاستشراق بصفة عامة، حركة علمية عنيت ولا تزال تعنى بدراسة المدنيات الشرقية: ما غبر منها وما حضر، وما طمس ذكره منها وما استقر، وبما خلفته تلك الحضارات من قوى روحية وآثار فكرية وأدبية وفنية ودينية، وبما يتصل بهذه الحضارات القديمة، وبما فيها من شعوب وأجناس، ومذاهب ومدارس، وما إلى ذلك كله من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضرية، خليق بأن نحياه نشرا وطباعة².
والاستشراق عند إدوارد سعيد يحمل ثلاثة معاني:

¹ - مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، دار الإرشاد، بيروت، 1969، ص5، 6.

² - يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، المكتبة الشرقية، بيروت، (د. ط)، 1983، ج2، ص742.

- المعنى الأول أكاديمي: كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه في أي مجال.

- المعنى الثاني عام: ويشمل كل فكر أو إبداع أو وصف للشرق أيا كانت وسيلته، بحثا أو رواية أو شعرا أو أدبا للرحلات أو رأيا فلسفيا أو تنظيرا سياسيا أو اقتصاديا.

- المعنى الثالث: هو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق والسيادة عليه، وإعادة بنائه أو تشكيله على النحو الذي يتفق مع العقلية الغربية. ومحاولة تكوين أفكار عن الشرق بما يتفق مع مخيلة الغرب وأفكاره، حتى وإن كانت مختلفة مع واقع الشرق نفسه¹.

ثانيا - رأي المستشرقين في مصادر التصوف الإسلامي:

سار عامة المستشرقين في بداية تناولهم للتصوف على أنه نشأ من مصادر أجنبية عن الإسلام، وفي هذا يقول سامي النشار: "إن الأبحاث التي قامت بها المدارس الأوروبية في دراسة التصوف الإسلامي اتجهت إلى تتبع مصادر التصوف في مختلف الثقافات التي أحاطت بالمسلمين، فالمدرسة الإنجليزية -لمشابهات عرضية- حاولت أن تتلمس أصول التصوف في المسيحية وفي الأفلاطونية المحدثة، وحاولت المدرسة الفرنسية أن تبحث عن أصله في المسيحية، والألمانية حاولت خلال تحليلاتها الفيلولوجية أن تبحث عن أصله في البوذية وفي المدارس الإيرانية"².

وفيما يلي نورد آراء بعض المستشرقين حول نشأة التصوف:

1- رأي المستشرق النمساوي ألفرد فون كريمير (ت1889م):

يرى "ألفرد فون كريمير" أن في التصوف عنصرين مختلفين: الأول مسيحي رهباني، والثاني هندي بوذي، وهو ظاهر في الحارث المحاسبي، وذي النون المصري، وأبي يزيد البسطامي، والجنيد، ويرجع "كريمير" إلى الأصل الهندي فكرة وحدة الوجود، وهي الفكرة التي

¹ - Edward Said. Orientalism. (New York: Vintage Books, 1979) p92.

² - علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط8، ج3، ص29.

يقول إنها كانت آخذة في الظهور بوضوح في أواخر القرن الثالث تحت تأثير الحسين بن منصور الحلاج¹.

2- رأي المستشرق جولد تسيهر (1850 - 1920):

أما المستشرق اليهودي "جولد تسيهر" فقد أخذ برأي ابن خلدون في التفرقة بين اتجاهين في التصوف الإسلامي: الأول الزهد، وهذا في نظر "جولد تسيهر" قريب من روح الإسلام وإن كان متأثرا إلى حد كبير بالرهبة المسيحية. والثاني التصوف بمعناه الدقيق وما يتصل به من كلام في المعرفة والأحوال والمواجيد والأذواق، وهو متأثر من ناحية بالأفلاطونية الحديثة، ومن ناحية أخرى بالبوذية الهندية، وقد أخذ بهذه التفرقة من بعد "جولد تسيهر" كل من كتب عن التصوف².

3- رأي المستشرق رينولد نيكلسون (1868 - 1945):

أما "نيكلسون" فإنه كان ميالا إلى المصدر المسيحي والأفلاطوني المحدث للتصوف الإسلامي، حيث يقول في كتابه الصوفية في الإسلام: "من الجلي أن ميول الزهد والتأمل التي أشرت إليها كانت على وفاق مع الفكرة المسيحية، ومنها استمدت أسباب قوتها، فكثير من نصوص الإنجيل ومن الأقوال المنسوبة إلى المسيح مقتبس في أقدم تراجم الصوفية، والرهابة المسيحيون كثيرا ما يظهرون في مقام المعلمين، يولون النصح والتسديد لزهاد مسلمين متقلبين، وقد رأينا أن ثوب الصوف - الذي منه جاء الصوفي - مسيحي الأصل، ونذور الصوم عن الكلام، والذكر، ورياضات الزهد الأخرى، لعلها أن ترد إلى هذا الأصل نفسه³". ولا يعترض "نيكلسون" على الذين قالوا بالمصدر الهندي، بل ونقل عنهم واستشهد بكلامهم غير مرة، وأقرهم عليه؛ يقول "نيكلسون": "... أما في شرق فارس - حيث ظهرت فكرة الفناء لأول مرة ظهورا واضحا - فلا بد أنها كانت متأثرة إلى حد كبير بأفكار هندية

¹ - محمد عبد الله الشرقاوي، المستشرقون ونشأة التصوف، دار البشر للثقافة والعلوم، المدينة المنورة، ط1، 2017، ص27-28.

² - الشرقاوي، نفسه، ص28-29.

³ - نيكلسون، الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 2002، ص19.

فارسية. ويدل تعريف الصوفية للفناء من الناحية الخلقية بأنه محو الصفات الذميمة والتخلق بكل خلق حميد، ووصفهم لوسائل قمع الهوى والشهوات، على وجود أثر للفلسفة البوذية فيهم بما لا يدع مجالاً للشك؛ لأن تعريفهم هذا يتفق تمام الاتفاق مع الأفكار الهندية، وليس لدينا من الأدلة ما يثبت ذلك سوى تراجم حياة الصوفية أنفسهم والأقوال المأثورة عنهم، وبعض الشواهد التاريخية. مثال ذلك أن الزاهد الصوفي إبراهيم بن أدهم كان أميراً لبلخ، تخلى عن عرشه وأضحى درويشاً منتقلاً، وما ذلك إلا تكراراً لقصة "بوذا". ويذكر نيكلسون أن الصوفية تعلموا استعمال المسابح من الأبحار البوذيين، وأن أبا يزيد البسطامي كان من أهل خراسان، وكان جده زرادشتياً وشيخه في التصوف كردياً، ويقال إنه أخذ عقيدة الفناء الصوفي عن أبي علي السندي الذي علمه الطريقة الهندية¹.

ومع ذلك فيجدر أن نشير هنا إلى قول "نيكلسون" في مقدمته لترجمة (ديوان شمس تبريز) وهي من أوائل أعماله عن التصوف، إن لم تكن أولها، قال: إن المادة العلمية المتاحة لم تزل غير كافية لتمكننا من تحديد المصدر الذي انبثق عنه التصوف الإسلامي، وكان يرى نيكلسون في البداية - أنه يمكن تفسير نشأة التصوف بمصدر أجنبي واحد - وقد كان متأثراً في هذه المرحلة إلى حد بعيد بالمستشرق اليهودي "جولد تسيهر" الذي كان متأثراً بدوره بالمستشرق "مرجليوث"، ثم غير "نيكلسون" رأيه هذا، وانتهى أخيراً إلى الإقرار بأهمية المصدر الإسلامي القرآن والسنة في تفسير نشأة التصوف الإسلامي².

4- رأي المستشرق لويس ماسينيون (1883-1962):

بعد تراجع المستشرق "نيكلسون" عن آرائه حول مصادر التصوف، والتي اعتبرها عبد الرحمن بدوي تراجعاً خفيفاً وعلى استحياء³، جاء بعده مستشرق آخر هو "لويس ماسينيون"، والذي يُعدّ حسب عبد الرحمن بدوي؛ أعظم باحث في التصوف الإسلامي على الإطلاق،

¹ - نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ص 28.

² - الشرقاوي، المرجع السابق، ص 37، 39.

³ - عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1975، ص 46.

حيث خطا خطوة واسعة جدا وجّهت الدراسات الصوفية توجيهها جديدا تماما، فقرر بعد دراسته المحكمة الدقيقة لما قيل من آراء في تأثر نشأة التصوف الإسلامي بعوامل أجنبية أن هذه الدراسة الطويلة تمكّن من أن نؤكد أن التصوف الإسلامي في أصله وتطوره صدر عن إدامة تلاوة القرآن والتأمل فيه وممارسته¹. وفي دراسة لماسينيون نُشرت بالفرنسية عام 1922م تحت عنوان "بحث في المصطلح الفني للتصوف الإسلامي" يقول "ماسينيون": "لقد قام التصوف الإسلامي على أساس التلاوة المستمرة والقراءة الشاملة لهذا النص المعترف مُقدّسا، ومنه استمد خصائصه المميزة: التلاوة المشتركة وبصوت مرتفع (الذكر، رفع الصوت)، وإقامة مجالس الذكر المنتظمة، التي فيها تتلى آيات من القرآن، وموضوعات للتأمل مناسبة منظومة ومنثورة². ويعتبر المؤرخ عبدالرحمن بدوي أن للأستاذ "ماسينيون" الفضل العظيم في تفسير نشأة التصوف الإسلامي ونموه -على الأقل في القرون الثلاثة الأولى- تفسيراً مستمداً من أصول إسلامية خالصة، ومن الكتاب والسنة على وجه التخصيص³.

ثالثاً - نماذج من عناية المستشرقين بالتصوف:

اجتهد المستشرقون في تحقيق تراث التصوف ونشره؛ فكان لهم قدم سبق في ذلك، وفاقوا المتصوفة أنفسهم في ذلك. وقد كانت ريادة هذا الجانب أيضا للمستشرقين "نيكلسون" و"ماسينيون"، وفيهما يقول المستشرق "كاسبر" : "اهتما أولا وقبل كل شيء بالبحث عن النصوص الصوفية التي كان معظمها لا يزال مخطوطا ونشراها، وقد ازداد نشر مثل هذه الأعمال تدريجيا مع مر السنين، وهكذا ظهرت إلى الوجود مجموعة نصوص صوفية كبيرة، وأضحى من الممكن الحصول عليها بسهولة؛ مطبوعة طباعة جيدة غالبا، ومحققة تحقيقا علميا نقديا في بعض الأحيان"⁴.

¹ - بدوي، تاريخ التصوف، ص 47.

² - المرجع نفسه، ص 47.

³ - عبد الرحمن بدوي، شخصيات قلقة في الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1964، ص 15.

⁴ - الغامدي، المرجع السابق، ص 191- 192.

وفيما يلي نورد نماذج من جهود عدد من المستشرقين في هذا الجانب؛ التي تتنوع ما بين تحقيق وترجمة ونشر للتراث الصوفي، وكذلك التأليف في التصوف وفي رموزه.

1- لويس ماسينيون (1883 - 1962): اعتنى "ماسينيون" بالحلاج عناية فائقة؛ فنشر كتاب الحلاج "الطواسين"، وحقق كثيرا من أخباره، حتى إنه قرر أن يكون الحلاج موضوع رسالته للدكتوراه، وبعد أن شرع فيها بدأت الحرب العالمية الأولى ففقد مخطوطها، فشرع في أخرى وأنجزها، واستطاع أن يكتب رسالة ثانية، ونوقشتا معاً؛ الأولى بعنوان: "عذاب الحلاج، شهيد التصوف في الإسلام"، وتقع في أكثر من ألف صفحة، والثانية بعنوان: "بحث في نشأة المصطلح الفني في التصوف الإسلامي"، وفيه قرر "ماسينيون" أن التصوف نشأ عن أصول إسلامية خالصة مستمدة من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته، وكتب في دائرة المعارف الإسلامية مباحث كثيرة حول التصوف، وله من المؤلفات أيضاً: "أسطورة الحلاج في بلاد الأتراك" و"حياة الحلاج بعد وفاته" و"آلام الحلاج ومذهب الحلاجية"، و"التجربة الصوفية والأساليب الأدبية"، و"ابن سبعين والنقد النفساني"، وغيرها¹.

2- رينولد نيكلسون (1868 - 1945): أول خطوة قام بها "نيكلسون" في دراسته للتصوف هي تحقيق وترجمة ونشر مصادر التصوف، فترجم ونشر من الأصول العربية والفارسية كتاب اللُّمع لأبي نصر السراج، وكشف المحجوب للهجويري، وتذكرة الأولياء لفريد الدين العطار، وترجمان الأشواق لابن عربي، وبعض قصائد ابن الفارض، وديوان جلال الدين الرومي، وكذلك لباب الألباب واللزوميات للمعري، وفارسنامه لابن البلخي، وله أيضاً في التصوف كتاب "التصوف الإسلامي" ويقع في ثمانية مجلدات، وبه- كما يذكر العقيقي- عدّ "نيكلسون" حجة في التصوف الإسلامي، وله أيضاً: "دراسات في

¹ - نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 2006، ج1، ص287 وما بعدها.

التصوف الإسلامي" و"فكرة الشخصية في الصوفية"، وله في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية وغيرها مباحث كثيرة جدا حول التصوف¹.

3- **جولد تسيهر Goldziher (1850-1921)**: كتب في التصوف رسالة الحسين بن منصور الحلاج، نقد فيها كتاب الطواسين لماسينيون، وله دراسة عن الأولياء وتكريمهم في الإسلام، ودراسة أخرى عن الزهد الصوفي، وعن الصوفية².

4- **دي ماتيو De Matteo (1872-1948)**: كان شديد الاهتمام باللغة العربية والتصوف وتاريخه، ترجم التائية الكبرى لابن الفارض، وله كتاب "تفسير ابن الفارض للتصوف ومصطلحاته"، وله أيضا بحوث مقارنة عن الروحانية في الإسلام والنصرانية³.

5- **جورج أوغسط فالين Walline (1852-1811)**: ترجم الكثير من النصوص الصوفية، وأهمها ترجمته لشرح الشيخ عبدالغني النابلسي لتائية ابن الفارض باللغة اللاتينية، وله مذكرات عن حياته الروحية وإقامته بين المسلمين وتجاربه الصوفية معهم⁴.

6- **مرجليوث Margoliouth (1858-1940)**: له في التصوف كتاب "سيرة عبدالقادر الجيلاني"، وكتب أيضا في سير بعض الصوفية⁵.

¹ - العقيلي، المرجع السابق، ج2، ص91، 92.

² - عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، دار الرشد، القاهرة، ط1، 1992، ص113.

³ - العقيلي، المرجع السابق، ج1، ص384.

⁴ - الحنفي، المرجع السابق، ص315.

⁵ - المرجع نفسه، ص362.

المحاضرة السادسة

المنهج الذوقي عند الصوفية:

الصوفي حين يسلك طريق التصوف تتجلى له حقائق وكشوفات، وتتوالى عليه معارف وإلهامات، يدرك من خلالها كثيرا من الحلول لقضايا يعجز العقل عن إدراكها، لذا اتفق الصوفية على أنّ البصيرة الكاشفة بوسعها أن تدرك في لمحة خاطفة، ما يعجز العقل عن إدراكه، ومن هذا المنطلق يمكن أن نطرح الأسئلة التالية:

كيف تنشأ المعرفة الإلهامية؟ وما أدلة الصوفية على وجودها؟ وما هي حدود هذه المعرفة؟.

أولا - أقسام العلوم عند الصوفية:

يقول محي الدين بن عربي: "لقد أجمع رجال التصوف جميعا على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله عليه؛ وإنما هو فهم يُعطى في القرآن لرجال الله، وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة، كذلك يحفظ علماء الباطن آدابها وروحها، وكما أُبِيح لعلماء الظاهر الاجتهاد في استنباط الأدلة، واستخراج الحدود والفروع، والحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يرد فيه نص، وتُرك أمره للاجتهاد والاستنباط؛ فكذاك للعارفين أن يستنبطوا آداباً وأذواقاً ونهجا للمريدين والعابدين¹". ومن خلال قول ابن عربي هذا نستنتج أن للتصوف علومه واجتهاداته التي يتقرد بها، ولتلك العلوم أثرها ومكانتها ومقامها في التشريع والآداب الإسلامية، وتنقسم العلوم عند ابن عربي إلى ثلاثة أقسام:

- 1- **علوم العقل:** وهي العلوم التي تحصل نتيجة التدبّر والتفكر والنظر في الدليل، بشرط الحصول على وجه ذلك الدليل وشبهه، وتستخدم هذه العلوم العقل كأداة رئيسية للوصول إلى المعرفة وفهم القضايا، ومن هذه العلوم هناك الفلسفة والمنطق، والرياضيات، وعلم النفس².
- 2- **علوم الأحوال:** وهي مجموعة العلوم الناتجة عن التجربة الوجدانية، ولا سبيل إليه إلا بالذوق أو المشاهدة، ولا يقدر عاقل على أن يحدّه، أو يقيم على معرفته دليلا، وهو علم

¹ - طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط2، 2017، ص75.

² - نفسه، ص75.

يتلّون مع صاحبه بلون ذوقه، أو بلون مشاهداته، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر، ولذة العشق والوجد والشوق عند الناس كافة، أو كحالات المتصوفة في أحوالهم ومقاماتهم وما يتذوقونه من لذائذ روحية، فهو علم من المحال أن يعرف أحد حقيقته إلا أن يتصف بحالاته ويتذوقها، وشرط هذا العلم سلامة الإدراك والبراءة من الآفات، فإن من يغلب على طعم فمه المرارة يجد العسل مرا، وهو ليس كذلك. وهذا العلم يُترك لأصحابه، فلا يتحدث به إلا من ذاقه، ولا يجوز إنكار الذوق على من ذاق، بل لا يلتذ بسماع حالاته على تعدد ألوانها إلا أصحاب الأذواق السليمة¹.

3- علوم الأسرار: وهو العلم الذي فوق طور العقل وإدراكاته، وهو علم المتصوفة، أو العلم اللدني، وهو الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء، وأساسها الفيض والنفث في الروح؛ ولذلك يتسارع إلى صاحبه الإنكار؛ لأنه من طريق الإلهام، وهي علوم يختص بها الأنبياء والأولياء. وعلوم الأسرار نوعان: نوع منه يُدرك بالعقل، وهي العلوم التي يمكن تحصيلها بالعقل والفكر، كالقسم الأول من هذه الأقسام، ولكن العلم به هنا لم يحصل عن نظر ولا عن تفكر، ولكنه ملازم لمرتبة العلم التي يعطاها².

والنوع الآخر من علوم الأسرار على ضربين: ضرب منه يلتحق بعلم الأحوال، ولكن على مقام أعلى وحالة أشرف، والضرب الآخر من علوم الأخبار، وهي التي يدخلها الصدق والكذب، إلا أن يكون المخبر به قد ثبت صدقه وعصمته فيما يخبر به ويقول، كإخبار الأنبياء بالجنة وما فيها، فقولهم: إن ثمة جنة مثلا من علم الخبر، وقوله في القيامة: إن فيها حوضا أحلى من العسل من علم الأحوال، وهو علم الذوق³.

ثانيا: - طريق المعرفة الإلهامية:

¹ - طه عبد الباقي، المرجع السابق، ص76.

² - نفسه، ص76.

³ - نفسه، ص76-77.

لا يرى الماديون للمعرفة والعلم بابًا إلا الحواس الخمس المتصلة بعالمنا، ويقررون أن لا مصدر فوق هذا تصدر منه المعرفة غير الخيال والتصور. وما كان الخيال والتصور يوما من الأيام حجة وبرهانا في المعارف اليقينية، والعلوم الصحيحة الثابتة، وهم شديدي التهكم برجال الدين، والكشف الباطني، ومن سلك مسلكهم من أصحاب الرياضة العقلية، والصفاء الروحي. أما الصوفية والروحانيون على اختلاف أديانهم وألوانهم ومذاهبهم، فيقررون أن للعلم وسائل باطنية يقرها العقل المنصف، ويعترف بها الواقع الملموس المشاهد، وهذه الوسيلة هي المعرفة الإلهامية، وتتميز طبيعة هذا النوع من المعرفة بأنها وهب وعطاء من الله تعالى، تنتزل على قلب العارف فتكشف له الأمور على حقيقتها انكشافًا لا مجال فيه لشك أو ارتياب، فهي ليست عملاً عقليًا، ولا مجال فيه للدليل أو البرهان المنطقي، وبالتالي فإنها ليست كسبًا يتوصل إليه المرء بوضع المقدمات واستنباط النتائج. يقول ابن عربي: "إن الله هو المعلم الحقيقي، والمؤدب الحقيقي للوجود كله، خلق الإنسان علمه البيان، ويؤتي الحكمة من يشاء، وعلم الخضر من لدنه علما، وأدب من اصطفى واختار فأحسن تأديبه"¹.

فالمعرفة الإلهامية لا تتحقق بالنظر المجرد، وإنما هي نتاج معاناة داخلية، يكابدها السالك في تقربه، يتذوقها بعد طهارة قلبية، يقول القاشاني (ت736هـ): "واعلم أن الأدواق التي يشير إليها القوم، هي علوم لا تتال إلا لمن كان خالي القلب من جميع العلائق والعوائق كلها". وكان أبو يزيد البسطامي يقول في محاجته لعلماء الرسوم: "أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت". ويقول محي الدين بن عربي: "إن جميع ما أكتبه في تأليفي ليس عن رويّة وفكر؛ وإنما هو عن نفث في روعي على يد ملك الإلهام"². ومما سبق نستنتج أنّ المعارف الصوفية ليست من قبيل التعلم، كما هو شأن باقي

¹ - طه عبد الباقي، المرجع السابق، ص68-69.

² - نفسه، ص68.

المعارف الأخرى، وإنما هي مواهب وإشارات يتذوقها السالك أثناء تدرجه في مقامات السلوك الروحي.

ثالثاً: - إثبات المعرفة الذوقية الإلهامية:

1- حجج من القرآن الكريم:

إذا تأملنا في السياق القرآني لكلمة المعرفة، ندرك خصوصيتها كما في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ وهذا التأثير ناتج عن حال تثمره المعرفة. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

2- حجج من السنة النبوية:

وفي السنة النبوية أيضاً، يرد لفظ المعرفة في سياق خاص؛ للدلالة على ثمرة سلوك روحي، يُتَوَخَّى من خلاله التحقُّق بالمسائل والقيم الإيمانية، لا مجرد التعقل أو الإدراك النظري لها؛ فقد سأل النبي الحارث بن مالك الأنصاري: كيف أصبحت يا حارثة؟. قال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال له: أنظر ما تقول؛ فإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: يا رسول الله، عَزَفْتُ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهارِي؛ وكأني أنظر عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها. قال يا حارثة، عرفت فالزم". وقوله صلى الله عليه وسلم: "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم". وقوله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله".

3- حجج من سير الصحابة:

منها ما حُكي عن سيدنا عمر بن الخطاب أنه قال أثناء خطبة الجمعة: "يا سارية الجبل"، حيث كان انكشف له أن العدو قد أشرف على جيش المسلمين، وقد كانت بينهما مسافات طويلة.

رابعاً: - موقف علماء المسلمين من المعرفة الذوقية:

1- الإنكار التام:

لقد جعلت المعتزلة للعقل مكان الصدارة في الاستدلال على مسائل العقيدة، فلقد قدمته على النقل، ويظهر ذلك جليا من خلال ما تركوه لنا من مؤلفات، وفي هذا الصدد يقول القاضي عبد الجبار: "فاعلم أن الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله تعالى لا تتال إلا بحجة العقل؛ فإن قيل.. لما قلتم إن معرفة الله لا تتال إلا بحجة العقل.. فلأن ما عداها فرع على معرفة الله تعالى، فلو استدللنا بشيء منها على الله لكنا مستدلين بفرع الشيء على أصله، وذلك لا يجوز"¹. من سياق هذا النص يتضح لنا أن المعتزلة ذهبت إلى أن الدلائل أربعة يأتي في مقدمتها الدليل العقلي، مؤكدة على أنه إذا كانت معرفة الله التي هي أصل المعارف وأهمها يحصل عليها المرء من خلال الاستدلال العقلي، إذن فمن باب أولى أن نستدل على بقية المعارف - التي تعد معارف فرعية قياسا بمعرفة الله- عن طريق الدليل العقلي، ومن هنا فإن المعتزلة يرون أن الدليل على كل القضايا يجب أن يكون دليلا عقليا².

2- الإثبات:

صرّح الغزالي أنه بلغ المعرفة الذوقية من خلال تجاربه الروحية، فقال: "وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها". ويقول الإمام الغزالي؛ متحدثا ومدافعا عن النهج الصوفي: "وماذا يقول القائلون في طريقة أول شروطها: تطهير القلب عما سوى الله تعالى، ومفتاحها: استغراق القلب بالكلية في ذكر الله، وآخرها: الفناء بالكلية في الله، وأول هذه الطريقة: المكاشفات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق"³.

¹ - القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1996، ص88.

² - محمد سيد أحمد، دور العقل في السمعيات عند القاضي عبد الجبار، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أسيوط، عدد 31، ص69.

³ - طه عبد الباقي، المرجع السابق، ص67.

اشتهر عن ابن تيمية شدة عداوته للصوفية، ويبدو أن ذلك فيه مبالغة كبيرة، فمنهج ابن تيمية في التعامل مع الصوفية منهاجاً وسطياً، فهو لم يضع جميع الصوفية في سلة واحدة، بل كان يمتدح الصوفية الأوائل كابن عياض والجنيد.. وفي كتابه الفتاوى، يستعمل ابن تيمية مصطلحات الصوفية كالكشف والإلهام، فيقول: "وإذا كان القلب معموراً بالتقوى، انجلت له الأمور وانكشفت، بخلاف القلب الخراب المظلم.. وكلما قوى الإيمان في القلب قوى انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطنها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف..¹، ويقول: " فالإيمان الذي في قلب المؤمن يطابق نور القرآن، فالإلهام القلبي تارة يكون من جنس القول والعلم.. وكثير من أهل الإيمان والكشف يلقي الله في قلبه أن هذا الطعام حرام، وأن هذا الرجل كافر.. من غير دليل ظاهر، بل بما يلقي الله في قلبه. وكذلك بالعكس، يلقي في قلبه محبة لشخص، وأنه من أولياء الله، وأن هذا الرجل صالح، وهذا الطعام حلال، وهذا القول صدق، فهذا وأمثاله لا يجوز أن يستبعد في حق أولياء الله المؤمنين المتقين. وقصة الخضر مع موسى هي من هذا الباب². إلا أن ابن تيمية وإن أثبت الكشف إلا أنه لا يجزم بأن ما يقع في نفس الواحد يكون إلهاماً شرعياً، بل ربما يكون كشفاً شيطانياً أو حديثاً للنفس.. يقول ابن تيمية: "وأهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارة ويخطئون أخرى؛ كأهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد³".

¹ - تقي الدين أحمد بن تيمية، مجموعة الفتاوى، دار الوفاء، ج2، ط3، مصر، 2005، ج20، ص28-29.

² - نفسه، ج20، ص29-30.

³ - نفسه، ج11، ص39.

المحاضرة السابعة

موقف الفقهاء والمتكلمين من التصوف:

نظرا لما ذهب إليه الصوفية من القول بالظاهر والباطن والشريعة والحقيقة والسلوك النفسي الحافل بالمراجعة والأحوال والمقامات، وما صحب ذلك من مظاهر خارجية في اللباس والأعمال، ثم ما انطوى عليه هذا كله من نظرة في الحياة الدينية والمثل الأعلى للمؤمن والنموذج الأسمى للسلوك في الحياة، فقد كان من الطبيعي أن يهاجمهم من لم يسلكوا هذه السبل، ولم يأخذوا بهذا الاتجاه في فهم الدين والحياة المثلى.

أولا - موقف المتكلمين:

1- المعتزلة:

اشتق الاسم من اعتزال واصل بن عطاء شيخه الحسن البصري في مسجد البصرة، بسبب الاختلاف حول (مرتكب الكبيرة)، الذي تولد عنه أصل من أصول المعتزلة، وهو (المنزلة بين المنزلتين). والمقصود بالمنزلتين (الكفر) و(الإيمان)، وكما هو معلوم فإن الحسن البصري من شيوخ الصوفية الأوائل، مما يعني أن الخلاف بين المعتزلة والصوفية ظهر من البداية¹.

يتميز الاتجاه الاعتزالي بنزعه العقلية الكبيرة، بينما مال التصوف إلى الطريق الوجداني وما يقتضيه من تركية ومجاهدة، ويعيب المعتزلة على الصوفية قولهم بالمعرفة الإلهامية، وقولهم بأنها وهب وعطاء من الله تعالى، تنتزل على قلب العارف فتتكشف له الأمور على حقيقتها انكشافاً لا مجال فيه لشك أو ارتياب، وبأنها ليست عملاً عقلياً، ولا مجال فيه للدليل أو البرهان المنطقي.

2- الخوارج:

¹ - أبو الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1993، ج1، ص59، 60.

مما استتكره الخوارج عن الصوفية هو إطاعتهم للسلطان حتى لو كان جائراً، وقولهم بأن النية أفضل من العمل¹.

3- الشيعة:

تنسب أقوال عديدة إلى الإمام جعفر الصادق يهاجم فيها التصوف والصوفية، ومن ذلك أنه نسب إلى جعفر الصادق أنه سئل عن حال أبي هاشم الكوفي الصوفي فقال: "إنه كان فاسد العقيدة جداً؛ وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف، وجعله مقر العقيدة الخبيثة"². ويقول مقدس أحمد أردبيلي (ت993هـ) في كتابه (حديقة الشيعة)، أن أكثر علماء الشيعة مثل الشيخ المفيد وابن بابويه، قالوا عن الصوفية: "هذه الطائفة الضالة سواء منهم الحلولية والاتحادية، هم من الغلاة"³. ويحمل خصوصاً على القائلين بالاتحاد من الصوفية مثل محي الدين بن عربي وعبد الرزاق الكاشاني.. وينعتهم بالكفر والزندقة. أما ملاً صدرا شيرازي (ت1050هـ) صاحب كتاب (كسر أصنام الجاهلية)، فهجومه لا ينصب على التصوف ذاته، بل على بعض المنتسبين إلى التصوف في زمانه الذين وصفهم بالبطلان المشتغلين بالشهوات وأكل الحرام والشبهات.. ولا يستتكر الملاً صدرا التصوف عامة، حيث يسوق في فصول كتابه بيان التصوف الحق، فيوضح أنه هو ذلك المبني على معرفة النفس بجوهرها وعالمها ومبدئها ومعادها.

ثانياً - أهل السنة:

مواقف علماء السنة متعددة بشأن الصوفية والمتصوفة، ولعل تعدد هذه المواقف يعود إلى أمور عدة، فمنهم من تحدث عن متصوفة القرن الأول والثاني، ومنهم من تحدث عن متأخريهم، وهناك من تحدث عن علم التصوف، وبعضهم تكلم عن رجال التصوف، وإجمالاً

¹ - عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف، ص63.

² - نفسه، ص64.

³ - نفسه، ص66.

فإن مواقف علماء السنّة تنوعت بين الثناء المطلق والذم المطلق، وبين تفصيل الموقف من التصوف والصوفية.

1- ابن الجوزي (ت597هـ):

يعتبر عبد الرحمن بن الجوزي أكثر أهل السنّة هجوماً على التصوف والصوفية، ومن المآخذ التي أخذها ابن الجوزي على التصوف نذكر:

أ- أنهم انصرفوا عن العلم إلى العمل، وانصرفوا عن علم القرآن والحديث إلى المواعظ والخطرات.

ب- أنهم قالوا بالحلول.

ج- أنهم دعوا للخروج عن الأموال والتجرد عنها.

د- أنهم اتخذوا ملابس خاصة، مثل لبس الصوف ولبس الخرق والمرقعات.

هـ- أنهم اصطنعوا السماع والرقص واستدعاء الوجد.

و- أنهم آثروا الوحدة والعزلة والانفراد عن الناس، وفضلوا عدم الزواج.

ز- أنهم دعوا إلى السياحة -لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم- دون أن يصطحبوا زادا.

ح- الشطح والدعوى وادعاء الكرامات¹.

2- ابن تيمية (ت728هـ):

انحصرت مواقف ابن تيمية حول التصوف بين الاعتدال والتطرّف، فهو يقر بكرامات الأولياء، فيقول: "وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنّة والجماعة". أما المواجيد فإنها "إذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقاً عاجزاً عن دفعها، كان محموداً على ما فعله من الخير، معذوراً فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره". كذلك يبرر ابن تيمية المقامات والأحوال فيقول: "أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال، وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين". وأشد هجوم ساقه ابن تيمية ضد الصوفية هو مهاجمته للقائلين

¹ - ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص158 وما بعدها.

بالاتحاد العام أو الحلول المطلق، ويقرر أنه ما علم أحدا سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع، إذ هم يقررون أنّ عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله هي نفس وجود المخلوقات¹. كما ينكر ابن تيمية ما ينسبه الصوفية إلى الخضر والقطب الغوث من أوصاف وأفعال خارقة.

3- الشاطبي(ت790هـ):

ينتقد الشاطبي الصوفية الذين استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقول بعضهم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي كذا وأمرني بكذا، فيعمل بما رآه في منامه حتى ولو تعارض مع الحدود التي في الشريعة، ويسرد الشاطبي مثلا عن البسطامي الذي قال: رأيت ربي في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال². وأجاب الشاطبي عن سؤال حول قوم يتسمون بالفقراء، يزعمون أنهم سلكوا طريق الصوفية، فيجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر جماعة، ثم في الغناء والرقص إلى آخر الليل.. فأجاب الشاطبي بأن ذلك كله من البدع المحدثات المخالفة للشرع³.

ثالثا - نقد الصوفية لأنفسهم:

1- أبو نصر السراج الطوسي(ت378هـ):

تنقسم أغلاط الصوفية بحسب السراج في كتابه اللمع، إلى أغلاط في الأصول وأغلاط في الفروع، ومن هذه الأغلاط:
أ- الغلط في معنى الحرية والعبودية، وتوهموا أن العبد ما دام بينه وبين الله تعالى تعبد فهو مسمى باسم العبودية، فإذا وصل إلى الله صار حرًا، وإذا صار حرًا سقطت عنه العبودية⁴.

¹ - أحمد بن تيمية، مجموع الرسائل والمسائل، مطبعة رشيد رضا، القاهرة (د ت)، ج1، ص172.

² - إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، تح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ج1، ص189، 190.

³ - نفسه، ج1، ص193.

⁴ - الطوسي، اللمع، ص531.

ب- الغلط في تفضيل الولاية عن النبوة، والذي جرهم للوقوع في هذا الغلط قصة موسى والخضر¹.

ج- غلط الحلولية الذين زعموا أن الله تعالى اصطفى أجساما حلّ فيها بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية، والذي غلط في الحلول، غلط لأنه لم يحسن التمييز بين أوصاف الله وبين أوصاف البشر، لأن الله تعالى لا يحل في القلوب، وإنما الإيمان هو الذي يحل في القلوب².

د- الغلط في فناء البشرية، بزعمهم أن من تضعف بشريته يجوز أن يكون موصوفا بصفات الإلهية، وغلطهم ناشئ من كونهم لم يفرقوا بين البشرية، وبين أخلاق البشرية، إذ البشرية لا تزول عن البشر، بينما الأخلاق تتبدل. والذي أشار إلى الفناء أراد به فناء رؤيا الأعمال والطاعات ببقاء رؤيا العبد، وكذلك فناء الجهل بالعلم، وفناء الغفلة بالذكر³.

أما الأغلاط في الفروع فيحصرها السراج فيما يلي:

أ- فتور الهمة نتيجة التبرم بطول المجاهدة والرياضة، والكسل والتواني والاستسلام للأماني الكواذب.

ب- ظنهم أن العزلة والانفراد، وترك الطعام، كافية لردع النفس الأمارة، مع أن الآفات في الباطن.

ج- ظنهم أن التشبه بكبار المشايخ في الملبس وحفظ الحكايات، واستعمال الألفاظ الصحيحة والعبارات الفصيحة.. يؤدي إلى أن يكون المرء منهم.

د- ظنهم أن التصوّف هو السماع والرقص⁴.

2- أبو حامد الغزالي(ت505هـ):

¹- الطوسي، اللع، ص535.

²- نفسه، ص541، 542.

³- نفسه، ص543.

⁴- نفسه، ص520 وما بعدها.

تعرض الغزالي لبيان بعض غلطات الصوفية في كتابه (المنقذ من الضلال)، وذلك حين ينطقون بعبارات يشتم منها معاني الحلول والاتحاد والوصول. يقول وهو يتحدث عما يقوم به الصوفية من مشاهدات ويصل إليه من مكاشفات، حتى أنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد: "ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يُعبّر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه. وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة: الحلول، وطائفة: الاتحاد، وطائفة: الوصول. وكل ذلك خطأ¹".

3- محمد السهروردي (ت632هـ):

خصص السهروردي في كتابه (عوارف المعارف) فصلاً بعنوان (من انتمى إلى الصوفية وليس منهم)، هاجم السهروردي من خلاله الصوفية الذين يدعون أن أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الأعمال والتكاليف من باب البر والتقوى إلى الله. ثم يحمل السهروردي على الذين يقولون بالحلول، ويزعمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل في أجسام يصطفها².

¹ - الغزالي، المنقذ من الضلال، ص60 - 61.

² - السهروردي، عوارف المعارف، ج1، ص91.

المحاضرة الثامنة

الطرق الصوفية:

تمثل الطرق الصوفية الجانب العملي من التصوف، وهو جانب ارتبط بحياة المجتمعات الإسلامية عبر عصور التاريخ ارتباطا مباشرا. والتصوف في حقيقته ليس نظريات نفسية أو أخلاقية بقدر ما هو طريقة في الحياة، ورياضة عملية تمارس من أجل هدف معين هو تحقيق الكمال الأخلاقي. وقد نبّه الغزالي إلى أنه لا يكفي أن تقرأ كتب الصوفية لتصبح صوفيا، إذ أن طريقتهم لا تتم إلا بعلم وعمل.

أولا - تاريخ الطرق الصوفية ونشأتها:

1- تعريف الطريقة الصوفية:

الطريقة في اللغة تطلق على السيرة والمذهب والحال. ويعرفها الصوفية بأنها: "السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات"¹، وبعد القرن السادس أصبح للطريقة بيعة معينة وأوراد وزي خاص، وموارد معينة وأضرحة، وزوايا يجتمعون فيها. وكل شيخ طريقة له خلفاء، وغالبا ما تكون مشيخة الطريقة وراثية. وخلال القرن السابع الهجري وما بعده أصبح من شروط السالك في أي طريقة صوفية التزام البيعة لشيخ الطريقة أو أحد خلفائه، والبيعة لها عبارات معينة، وأسلوب خاص في أخذ البيعة، لكنها متشابهة عند غالب الطرق، وكذلك الالتزام بزي معين، وأصبح لكل طريقة أوراد معينة من وضع شيخها².

2- المنهج المتبع في الانتساب إلى الطرق الصوفية:

الانتساب إلى الطريقة الصوفية يمر حسب صاحب جامع الأصول، بأربعة مراحل، أحدها: أخذ المصافحة وتلقين الذكر، ولبس الخرقة والعذبة للتبرك أو للانتساب فقط، وثانيها:

¹ - محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، مكتبة دار المحبة، دمشق، 2005، ج14، ص83.

² - عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، مصر، ط5، (د.ت)، ص20.

أخذ رواية، وهو قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها، وهو يكون للتبرك أو للنسبة فقط، وثالثها: أخذ دراية وهو حل كتبهم لإدراك معانيها لذلك فقط، ورابعها: أخذ تدريب وتهذيب وترق في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفناء في التوحيد والبقاء. ومن ذلك نلاحظ أن المنهج المتبع في كل الطرق الصوفية، هو أخذ العهود على المریدین بعد استتابتهم عن المعاصي، وبعد أن يمضي المرید فترة في الطريق يمنح له الشيخ إجازة الطريق، وهي شهادة تحتوي تاريخ الطريقة وأسانيدها، وتشهد بأن هذا المرید أصبح قادراً على إرشاد غيره من المریدین وإعطائهم العهود¹.

- مراتب الطريق:

مراتب الطريق أربعة: أما الأولى فهي التوبة وهي أول المقامات، وهي بمثابة الأرض للبناء، فمن لا توبة له، لا حال ولا مقام له. وأما الثانية: فهي مرتبة الاستقامة على الطاعة، واجتتاب المخالفات، وإقامة الأوراد من جميع الطاعات، والدعاء في جميع الحالات. والثالثة: التهذيب، وله أربعة أركان: الصمت، والعزلة، والصوم، والسهر، وكل واحد منها يدفع عدواً، فالشيطان سلاحه الشبع، وسجنه الجوع، والهوى سلاحه الكلام، وسجنه الصمت، والدنيا سلاحها لقاء الخلق، وسجنها العزلة، والنفس سلاحها النوم، وسجنها السهر. أما المرتبة الرابعة فهي مرتبة التقريب، وبعد أن يدخل السالك الصادق إلى الخلوة بشروط، ويداوم الذكر ولا يتركه ساعة، حتى يصير الذكر له بمثابة النفس يجري من غير اختيار ولا تقصد، فإذا حصل له هذا اتسعت له ميادين الله ومرافق أسراره².

3- ملامح الطريق الصوفي:

أ- الشيخ:

يمثل الشيخ أعلى سلطة في الطريقة، يستمد نفوذه من سلطته الروحية والزمنية وعلمه الواسع، باعتباره العارف بالله والقادر على تربية النفوس وعلاج أمراضها وعاهاتها، فهو

¹ - النجار، المرجع السابق، ص 20، 21.

² - نفسه، ص 21، 22.

المؤسس الفعلي للطريقة، الواضع لمنهجها والتعليم الخاص بها، ويطلق عليه الوالي، القطب، الغوث، الصوفي، ويتمتع بصفات أهلية ليكون رجل الكرامات والواسطة بين الله وعباده. هو بمثابة الأستاذ للمريد، وحسب الصوفية؛ المريد لا يمكنه سلك الطريق بمفرده، والشيخ هو الذي يحدد لمريده طرق الوصول إلى الله ويساعده على السير. فالذي سلك الطريق على يد شيخ واصل، فترقى في المقامات من مقام التوبة إلى مقام المشاهدة¹.

يقول شهاب الدين السهروردي: "ولا بد للمريد من شيخ مرشد إلى الحق يرشده ويلقنه الذكر ويلقي في روعه النور"². أما عن الشروط والمواصفات المطلوبة في الشيخ، فيعدها الإمام الجنيد فيقول: "لا يستحق أن يكون شيخا حتى يأخذ حظه من كل أمر شرعي، وأن يتورع عن جميع المحارم، وأن يزهد في الدنيا، وألا يشرع في مداواة غيره إلا بعد فراغه من مداواة نفسه، ويشترط أن يكون لديه القناعة بالغنى عن الناس، وأن يخاف ويخشى من المعاصي والأدناس، وأن يلازم العمل بالكتاب والسنة"³. أما الشعراني فيشترط على الشيخ "أن يتعرف على أحوال مريديه ويتفقدهم ويتابع ظروفهم، ومن ناحية أخرى ينبغي عليه أن لا يتفاخر بالمشيخة أو لقب شيخ"⁴.

ب- المريد:

المريد هو سالك الطريق الذي يسير في الطريقة حسب إرشادات شيخه، ويمكن أن نلخص خطوات المريد نحو الطريق في خطوات ثلاث تبدأ بالتوبة، ثم أخذ العهد من الشيخ بطاعة الله ورسوله والسير في الطريق، والخطوة الثالثة هي التلقين (تعليم الشيخ للمريد كيفية الذكر)⁵.

¹ - النجار، المرجع السابق، ص24.

² - السهروردي، عوارف المعارف، ص70.

³ - القشيري، الرسالة القشيرية، ص90.

⁴ - أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في آداب العبودية، تح: طه عبد الباقي سرور والسيد محمد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، 1988، ص34.

⁵ - النجار، المرجع السابق، ص26.

ج- العهد:

إذا كان الطريق يتشكل ويتكون من شيخ ومريد، فإن الذي يربط بينهما العهد والبيعة. ومهما تعددت صور وكيفيات أخذ العهود لكل طريقة صوفية، إلا أنها تتفق في أن واجب المريد الذي يرغب في أخذ العهد عن شيخ، ينبغي على هذا الشيخ أن يأمره بالتطهر ليتهاً لقبول ما يلقيه عليه¹.

ثانياً - أهم خصائص ومميزات الطرق الصوفية:

1- لبس الخرقه:

من أهم خصائص الطريق هو لبس الخرقه الصوفية، ويكاد يجمع أصحاب الطرق الصوفية المختلفة أنهم أخذوا الخرقه من فلان عن فلان، في سلسلة عنعنة طويلة تنتهي إلى الإمام علي كرم الله وجهه، وهو ما جعل ابن خلدون يقول في مقدمته: "إن الصوفية نقلوا نظامهم عن التشيع، حتى أن الصوفية لما أسندوا لباس خرقه التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم ونحلتهم، رفعوه إلى علي رضي الله عنه"².

2- الذكر:

يقول القشيري: "الذكر ركن قوي في طريق الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في طريق القوم"³. ومن آداب الذكر عند الصوفية أن يغمض الذاكر عينيه، ويتخيل شيخه بين عينيه ما دام ذاكرة، وأن يختار من صيغ الذكر لفظة (لا إله إلا الله)، فإن لها أثراً عظيماً عند القوم، فإن فنيت شهواته كلها فحينئذ يصلح أن يذكر الله تعالى بلفظ الجلالة فقط من غير نفي.

3- السماع:

¹ - النجار، المرجع السابق، ص 28، 29.

² - ابن خلدون، المقدمة، ص 473.

³ - القشيري، الرسالة القشيرية، ص 212.

يقصد بالسمع الغناء والرقص والتمايل والموسيقى، وإنشاد الشعر والمنظومات، وإذا استعرضنا آراء الصوفية في السماع، فسنجد أنهم كانوا يفتون فيه حسب مفاهيمهم ومشاربهم في الورع. فالقشيري يرى أن السماع مباح في الجملة إذا لم يقصد إلى محذور أو مذموم أو ينخرط في سلك اللهو. ويقول الطوسي: "وأهم ما امتاز به الصوفية، هو التحرز في السماع وهم يكرهون السماع إذا تطرق الغرض منه إلى الفساد والمخالفة واللهو وترك الحدود"¹.

يقول العز بن عبد السلام: إن السماع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- منها ما هو حرام محض وهو لأكثر الناس من الشباب، ومن غلبت عليهم شهواتهم ولذاتهم، وتكررت بواطنهم.

2- ومنها ما هو مباح لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح.

3- ومنها ما هو مندوب: وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشوق إليه، فلا يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة.

4- الموالد:

تخصص الموالد للاحتفال بذكرى ميلاد مؤسسي الطرق الصوفية وأولياء الله الصالحين، ويهتم بحضور احتفالاتها أتباع هذه الطرق وتكون قاصرة عليهم، ووسيلة تستخدم لجذب أتباع جدد للطريقة الصوفية.

5- الكرامات:

الكرامة هي الأمر الخارق لما تعود عليه البشر أن يجدهم مقبولاً عقلاً، ومطابقاً لقوانين ونظم الطبيعة والحياة، وهي لا تقترن بالنبوة ولا السحر والدجل، إنما يخص بها الله أولياءه العارفين بها. قسم ابن عربي الكرامات إلى قسمين: الكرامات الحسية وهي كرامات العامة مثل: المشي على الماء، وطى الأرض والاطلاع على الكوائن، والإخبار بالماضي والحاضر

¹ - الطوسي، اللمع، 273.

والمستقبل، أما الكرامات المعنوية، فهي كرامات الخاصة من عباد الله، وهي كرامة العمل بشريعة القرآن والتمسك بها¹.

ثالثا - مؤسسات الطرق الصوفية:

الربط والخانقاوات والزوايا والتكايا عمائر ومنشآت روحية ظهرت منذ القرن الأول للهجرة، كان يأوي إليها العباد لقضاء ليلهم في العبادة والصلاة والدعاء.

1- الخانقاوات:

الخانقاه كلمة فارسية الأصل من الخان وهو البيت، وقيل في معناها (بيت الدرويش والصوفية والفقراء). والخوانق شبيهة بالربط²، ويرجع تاريخ الخانقاوات إلى القرون الهجرية الأولى، وكان أول من أسس الخانقاه السلاجقة، ونالت اهتماما خاصا في العهد الأيوبي واستمرت تؤدي دورها في العهد المملوكي، وتذكر المصادر أن الصوفي أبو سعيد بن أبي الخير (ت440هـ) هو أول من نظم الحياة الجماعية في الخانقاوات خلال القرن الخامس الهجري، فقد كان المتصوفة يعيشون داخل الخانقاوات وفق نظام دقيق في المأكل والمبيت وممارسة العبادة من صلاة وذكر وغير ذلك. وفي داخل الخانقاه عدد معين من الخلوات لكل متصوف خلوة يتعبد فيها عندما يخلو بنفسه في غير أوقات صلاة الجماعة. وكان لكل خانقاه شيخ يرأس المتصوفة، وكانت تدرّس في الخانقاه العلوم الدينية كالحديث والشريعة والفقه والتفسير، ومن أشهر الخانقاوات هناك خانقاه سعيد السعداء الذي أنشأه صلاح الدين الأيوبي سنة 569هـ، وانتشرت الخانقاوات بكثرة في مصر خلال العهد المملوكي، كما انتشرت في المشرق حتى بلغت حدود إيران الشرقية وأفغانستان.

2- التكايا:

يرجع بعض الباحثين لفظ "تكية" إلى الاتكاء والراحة من الأسفار أو اتكاء الصوفية ومنتسبي تلك الأماكن على الله بعد أن توكلوا عليه، فيجدوا فيها رزقهم ومعاشهم وسكنهم،

¹ - النجار، المرجع السابق، ص48.

² - عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997، ج1، ص22.

وأصول التكية ترجع إلى تركيا، وتعني مكان إيواء الصوفيين لإقامة أمور المعيشة والانقطاع للعبادة وممارسة الأمور المتعلقة بالتصوف وما شابه. ويرجع متخصصون أصول التكايا إلى ما كان يعرف في العصر الأيوبي والمملوكي بـ"الخانقاه"، ثم أقيمت التكايا بدعم من العثمانيين الذين اعتمدوا عليها لبسط سيطرتهم على مناطق مختلفة من بقايا حكم السلطنة. ومن أشهر التكايا "تكية خان غلطة" في اسطنبول وهي أقدم تكية وأنشئت عام 1491م. والأصل في التكية الإقامة والانقطاع للذكر والعبادة، كما تميزت التكايا بوجود قاعة مخصصة للإنشاد الصوفي والموسيقى الصوفية، وطلب العلم في التكايا يعتبر شيئاً هامشياً¹.

3- الرباط:

الرباط والمرابطة هي ملازمة ثغر العدو والرباط يعني المواظبة على الأمر، قال تعالى: "وصابروا وربطوا". وعليه فالرباط بادئ الأمر أطلق على نوع من الثكنات العسكرية التي تبنى على الحدود الإسلامية، والمرابطون فيها رابطوا للدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين، وكانت الرباطات منتشرة في العصر الأموي والعباسي، تبنى لتفصل بين ديار الإسلام وديار الحرب. واشتهرت الربط في بلاد المغرب أكثر خصوصاً على سواحل البحر الأبيض المتوسط، وأشهرها رباط المنستير ورباط عبد الله بن ياسين زعيم المرابطين. إلا أن الرباطات تغيرت وظيفتها الحربية نتيجة للتحويلات الاجتماعية وما أفرزته حالة الاستقرار والانقطاع عن الغزو والحروب منذ أواسط القرن الرابع الهجري، فكان المرابطون فيها ينصرفون فيها إلى قراءة القرآن وعلوم الدين، ثم أصبحت بيوتاً للصوفية، ومنازل يلجأ إليها البعض هروباً من حياة الفساد والمجون والاضطرابات السياسية. والرباط في مفهوم بعض الطرق الصوفية هو مكان ربط روح المرید بروح أستاذه وشيخه العارف بالله تعالى، ومنه يرتبط عبر سلسلة مشايخ الطريقة، وصولاً إلى النور الأعظم سيد الكائنات محمد، كي يسير

¹ - الكسنزان، موسوعة الكسنزان، ج4، ص49.

المريد على وفق المنهج الروحي للطريق الذي سار به قاطعا عقباته وليتدرج في سلم قناطر
الطريقة¹.

4- الزوايا:

الزاوية هي كالرباط والخانقاه، إلا أنها أصغر في الغالب، وأكثر ما تكون في
الصحارى والأمكنة الخالية من السكان، وربما أطلقت على مكان معين في مسجد من
المساجد الكبرى التي تقام فيها حلقات العلم، وللزاوية في المغرب مدلول أوسع مما تعنيه في
المشرق الإسلامي فقد عرفت الزاوية تطورا وتداخلا في مفاهيمها أحيانا، إذ أطلقت في البداية
على مسجد خاص بالطائفة الصوفية أو ضريح لأحد الأولياء؛ أي أنها مكان للعبادة وإيواء
المتصوفة والفقراء. والزاوية في اصطلاح الصوفية هي مكان تجلي النظر الإلهي بعين
الرحمة على سكانها المريرين السالكين طريق الحق. ومن خلالها ترتبط أرواح أهلها بأرواح
الملا الأعلى لأنهم متفقون على قصد واحد، وأحوال متناسبة. وهي تعني أيضا المرآة الروحية
التي تتجلى عليها الدنيا وما حوت².

¹ - الكسنزان، موسوعة الكسنزان، ج4، ص49.

² - نفسه، ج4، ص49.

المحاضرة التاسعة

أهم الطرق الصوفية وعقائدها

- الطريقة القادرية:

القادرية مشتقة من اسم الإمام عبد القادر الكيلاني (الجيلاني) مؤسس هذه الطريقة وواضع أصولها وقواعدها.

أولاً- الإمام الجيلاني:

هو محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد سنة 471هـ بجيلان وهي قرية من بلاد طبرستان وبها أمضى شبابه، ثم ارتحل إلى بغداد، وتفقه على أيدي مشاهير عصره من العلماء والفقهاء، فألمّ بعلوم الشريعة واللغة والأدب، حتى بلغ شأواً بعيداً، فكان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره. قال عنه المعز بن عبد السلام: "ما نُقِلت إلينا كرامات أحد بالتواتر، إلا الشيخ عبد القادر". يصفه الذهبي في سير الأعلام بشيخ الإسلام، وعلم الأولياء وشيخ بغداد، وذكر الكتبي في فوات الوفيات أن الجيلاني صحب الشيخ أحمد الدباس وأخذ عنه علم الطريق، وعقد المجلس سنة 521هـ، ثم جلس في مدرسة أبي سعد المخزومي للتدريس والفتوى سنة 528هـ، وصار يُقصد بالزيارة، وصنّف في الفروع والأصول، وله كلام على لسان أهل الطريق، توفي الجيلاني سنة 561هـ وشيّع خلق لا يحصون، ودُفن بمدرسته رحمه الله¹.

ثانياً- أصول الطريقة القادرية:

تتمثل أصول الطريقة القادرية في أصول خمسة هي: "علو الهمة، وحفظ الحرمة، وحسن الخدمة، ونفوذ العزيمة، وتعظيم النعمة". وكان الجيلاني يدعو أتباع طريقته إلى اتباع السنّة والشرع، يقول لهم: "اتباع الشرع موجب لسعادة الدارين، فاحذر الخروج من دائرته،

¹- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ج20، ص439؛ ومحمد بن شاکر الكتبي، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973، ج2، ص373، 374.

وإياك أن تفارق الإجماع الشرعي، والاجتماع على أهل الله.. وأقرب الطرق إلى الله تعالى، لزوم قانون العبودية والاستمساك بأصول الشريعة وفروعها والاستقامة على الجادة".

يقول صاحب السلسيل المعين في الطرائق الأربعين: "ومبنى الطريقة القادرية على الذكر الجهري في حلقة الاجتماع، والرياضة الشاقة في العكفة بالتدرج في تقليل الأكل، والفرار من الخلق، وسلوكهم مصحوب في البداية باستحضار جلال الله وعظمته، بذلك تنقمع النفس وتتهذب". وتجمع الروايات على أن الجيلاني كان متسننا عابدا واعظا قامعا لنفسه ناصحا لغيره صادقا في حاله مبغضا للبدعة وأصحابها، وهذا ما يجعلنا نستبعد كل ما نسب إليه من افتراءات وأقوال كاذبة. يقول أحد تلامذته: "جلست مع الشيخ عبد القادر وأكلت معه، ونمت معه، وسافرت معه، وحضرت معه، فو الله ما رأيته تحرك بحركة، ولا سمعته تكلم بكلمة تخالف الشرع الشريف أبدا"¹.

ثالثا - كيفية الانتساب للطريقة القادرية:

أما عن كيفية الانتساب للطريقة القادرية فعلى كل سالك للطريقة القادرية أن يمر بمرحلتين:

- مرحلة الابتداء:

تبدأ وتنتهي بجلسة واحدة، ولهذه المرحلة مراتب هي:

أ- تبدأ باللقاء الأول بين الشيخ ومريده، ويتضمن اللقاء العهد والاستغفار والتوبة والطاعة والذكر.

ب- يومئ الشيخ لمريده بجملة من الأشياء مطالبا إياه اتباعها والعمل بمضمونها، كتحمّل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان، والسخاء وترك الحقد والحسد والكذب والنميمة...

ج- المبايعة والقبول: حيث يقول الشيخ للمريد: "وأنا قبلتك ولدا وبايعتك على هذا المنوال".

رابعا - أسس الطريقة القادرية:

¹ - ابن عبد المحسن الواسطي، ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين، ص55.

- المجاهدة: والأصل في المجاهدة هو قوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهديم سبلنا)¹، والمجاهدة مجاهدة النفس، لأن النفس ميالة للتكاسل، وهذا الطريق كما هو حال العبادة، فيه جهد ومشقة. أول ما يبدأ به المرید مجاهدة النفس وامتحانها في السلوك والصدق، والإخلاص والصبر وغيره. عندها سيكتشف كذبها في المواقف وريائها عند المذاق ونفاقها في المواقف. قال الامام الجيلاني رحمه الله: "والأصل في المجاهدة مخالفة الهوى، فيعظم نفسه عن المألوفات والشهوات واللذات، ويحملها على خلاف ما تهوى في عموم الأوقات فإذا انهمك في الشهوات أجمه بلجام التقوى والخوف من الله عز وجل فإذا وقفت عن القيام بالطاعات والمواقفات ساقها بسيارة الخوف وخلاف الهوى².

وشرط مجاهدة المراقبة لأن المراقبة علم العبد بالاطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه.

- التوكل: الأصل في التوكل قوله تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)³. قال الإمام الجيلاني: "وحقيقة التوكل تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتنقي عن ظلمات الاختيار والتدبير، والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير، فيقطع العبد أن لا تبديل للقسمة، فما قسم له لا يفوته، وما لم يقدر له لا يناله. فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه فيأخذ من مولاه".

وهناك ثلاث درجات للتوكل: 1- التوكل وهو لمن يسكن إلى وعد ربه. 2- التسليم: وهو لمن يكتفي بعلمه. 3- التفويض: لمن رضي بحكم ربه.

- حسن الخلق: والأصل في حسن الخلق قوله تعالى: (وإنك لعلی خلق عظيم)⁴. قالت السادة الصوفية: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصور¹. وهناك ثلاث مستويات لفهم دائرة الأخلاق:

¹ - سورة العنكبوت، الآية 69.

² - السيد معياد شرف الدين الكيلاني، الطريقة القادرية أصولها وقواعدها، كتاب ناشرون، ط1، لبنان، 2014، ص51، 52.

³ - سورة الطلاق، الآية 3.

⁴ - سورة القلم، الآية 4.

- 1- الأصل في الأخلاق الإسلامية لمن تحقق بأسماء الله الحسنى ثم تخلق بها.
- 2- بهذا المعنى ترتبط الأخلاق بالمعرفة وهي أعلى الهرم الأخلاقي.
- 3- في مستوى الفناء فالفناء هو فناء الصفات المذمومة بصفات محمودة، ويعني ذلك محو الصفات المذمومة شرعا لتحل بدلها صفات محمودة شرعا.
- **الشكر:** والأصل في الشكر قوله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم)². وعند الإمام عبد القادر الجيلاني حقيقة الشكر هو شكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب.
- **الصبر:** والأصل فيه قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)³.

- **الرضا:** والأصل فيه قوله تعالى: (رضي الله عنهم ورضوا عنه).
- **الصدق:** والأصل فيه قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)⁴. وحديث الرسول صلى الله عليه : (لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا). فالصدق باب الأبواب لأهل التصوف والمدخل الأمين لمن أراد السلوك والوصول. يقول الإمام الجيلاني: "واعلم أن الصدق عماد الأمر، وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة"⁵.

خامسا - المرید والمراد:

مصطلح مرید ومراد في الأساس مشتق من الإرادة، فالمرید هو الذي طلب بإرادته لسلوك هذا الطريق. وأما المراد فهو الذي اختير بفضل من الله عز وجل لسلوك الطريق. وأسس هذا الطريق هي:

¹ - السيد ميعاد، المرجع السابق، ص54، 57.

² - سورة إبراهيم، الآية 7.

³ - سورة آل عمران، الآية 200.

⁴ - سورة التوبة، الآية 119.

⁵ - السيد ميعاد، المرجع السابق، ص54، 57.

- الاعتقاد الصحيح السليم ضمن نطاق الكتاب والسنة والعمل بهما أمرا ونهيا.
- الصدق في الاجتهاد حتى يجد الهداية؛ قال الإمام الجيلاني: "فالاعتقاد يحصل له علم الحقيقة، وبالاجتهاد يتفق له سلوك الطريقة".
- الإخلاص مع الله عز وجل عهدا بأن لا يرفع قدما في طريقه إليه، ولا يضعها إلا لله سبحانه وتعالى.
- أن يتجرد قلبه وظاهره وباطنه عن جميع المطالب والمآرب من وراء سلوكه، غير الله سبحانه وتعالى.
- العبادة أصل الوصول، فيشغل الوقت كله بالعبادة والذكر والأوراد.
- المعية أو متلازمة (المعية)، يقينه بأن الله معه في حاله وترحاله، رقبيا عليه، عارفا بما في قلبه، مطلقا على نيته وقوله وفعله.
- الفراغ: إفراغ قلبه من الدنيا والخلق والأسباب والعلائق، فيبقى قلبه فارغا منها ممتلئا بالله تعالى.
- مجاهدة النفس ومخالفتها بكل أنواع الرياضة¹.
- آداب المرید: أما الآداب التي يجب أن يتأدب بها المرید أثناء سلوكه فهي:
 - أولا: لا يخالط المقصرين والبطالين من أعداء الأعمال والتكاليف.
 - ثانيا: لا يقصر ببذل الميسور ولا يبخل بالموجود. والبخل عدو هذا الطريق.
 - ثالثا: أن يرضى بالذل الدائم والحرمان من النصيب.
 - رابعا: أن يتقرب من العلماء ومجالس العلم والتحبب إلى المشايخ والأولياء والأبدال.
 - خامسا: أن يتأدب مع شيخه بترك مخالفته في الظاهر وترك الاعتراض عليه في الباطن.
 - سادسا: أن يراعي كل الآداب الإسلامية في الأكل والسفر وفي جميع حركاته وسكناته مع أهله وجيرانه ومجمعه.
 - سابعا: أن لا يستعجل الأحوال ويدعي المقامات.

¹ - السيد ميعاد، المرجع السابق، ص 63، 64.

ثامناً: أن يكون صمته أكثر من كلامه¹.

الخلوة بين الظاهر والباطن:

اتخذ السادة الصوفية من الخلوة رياضة لغايات معلومة وبشروط محددة. ذكر الإمام الجيلاني في معرض قصده عن التصرفات فقال: "تصفية القلب لها، وقلع هوى النفس من أصلها بالخلوة والرياضة". والخلوة تنقسم إلى خلوة ظاهرة وخلوة باطنة:

1- الخلوة الظاهرة: عزل النفس وحبس البدن، حبس الحواس الظاهرة لفتح الحواس الباطنة، نية الإخلاص ورضا الله تعالى، لأن النية في الخلوة مهمة. الخلوة لتحسين النفس من المعاصي.

2- الخلوة الباطنة: ترك كل محبة للدنيا وما فيها. إخلاء القلب من كل الذمائم. نية تصفية القلب وقلع هوى النفس. ملازمة الذكر بالمحبة.

3- شرائط الخلوة: الصمت وملازمة الذكر بالإرادة والمحبة والإخلاص. الدخول بالتوبة والتلقين من شيخ ملقن. الدخول بالعلم الشرعي والاعتقاد الصحيح، فخلوة الجاهل تضره وخلوة العالم تنفعه.

4- منافع الخلوة ونتائجها: إخلاص العمل لله. الطهارة من كل فساد. طهارة اللسان. جمع الحواس الظاهرة والباطنة وبذلك يصبح من أهل المعرفة والذوق.

5- أورد الخلوة: الصوم إن استطاع. الصلاة في الجماعات في المسجد والجمع بأوقاتها وسننها. المداومة على الذكر².

السماع:

لا يختلف اثنان من الصوفية من أن سماع آيات القرآن الكريم أعلى السماع، وروي أن الجنيد دخل على السري السقطي فوجد عنده رجلاً مغشياً عليه، فقال: ما لهذا؟ فقيل له: سمع آية من كتاب الله، فقال الجنيد: تقرأ عليه ثانياً، فقرأ فأفاق، فقال السري للجنيد: إن

¹ - السيد ميعاد، المرجع السابق، ص 64.

² - المرجع نفسه، ص 69، 70.

قميص يوسف ذهب بسببه بصر يعقوب لما جاءوا عليه بدم كذب. ثم عاد بسببه لما جاء
البشير. فأعجب السري بقوله. واتفقت الصوفية على أن إرادة السماع للمبتدئ، أما الكبار
وأصحاب الكمال فحالهم واحد بالسماع وغيره، لأنهم لا يحتاجون للوجد للتأثر به، فهم مع الله
دائماً، إنما المبتدئ يطلب السماع لاستحضار الوجد¹.

¹ - السيد ميعاد، المرجع السابق، ص70.

تعتبر الطريقة الشاذلية إحدى المحطات الكبرى في تاريخ حركة الزهد والتصوف في تاريخ الطرق الإسلامية، وأبرزها في الحراك الذي عرفه العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر. نشأت في بلاد المغرب خلال القرن السابع للهجرة، وانتشرت معالمها في معظم أنحاء الشرق الإسلامي عن طريق الإسكندرية، التي كانت بمثابة ملتقى طرق الزهد والتصوف بين الغرب والشرق. والذي أسس هذه الطريقة وأقام صرحها هو أبو الحسن الشاذلي.

1- الإمام الشاذلي:

هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المشهور بالشاذلي نسبة إلى شاذلة وهي قرية بإفريقية، وتذكر المصادر أن نسبه يرجع إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، ولد سنة (593هـ / 1197م) في إقليم غمارة بالقرب من مدينة سبتة بالمغرب الأقصى، وبها نشأ وتعلم القرآن والحديث على يد شيوخها¹، ويقال أنه رحل إلى فاس للقاء الصوفي الكبير عبد الله بن حرازم ولبس منه خرقة التصوف، ومن المعروف أن ابن حرازم كان أكبر تلامذة أبو مدين الغوث، ثم رحل إلى تونس وتلقى على علمائها علوم الشريعة وتفقه على مذهب الإمام مالك. ثم قام بجولة علمية إلى العراق وفيها التقى بأبي الفتح الواسطي، ثم رجع إلى المغرب واجتمع بشيخه أبو محمد عبد السلام بن مشيش، وبعد أن صحبه مدة انتقل إلى تونس وتحديدا إلى قرية شاذلة، حيث لجأ إلى مغارة في جبل زغوان المطل على قرية شاذلة، وظل هناك يتعبد واصل الليل بالنهار. ثم إنه خرج عن رباطه فاتخذ له دارا بمسجد البلاد بمدينة تونس حيث صارت دروسه تلقى إقبالا كبيرا، وأصبحت له سمعة رائجة في تونس وبلاد

¹ - صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: محمد الحجري، دار النشر فرانز شتايز، شتوتغارت، ط2، 1991، ج21، ص214، 215؛ وخالد بن ناصر العتيبي، الطريقة الشاذلية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2011، ص114.

المغرب قاطبة، مما أدى إلى ظهور بعض المناوئين لنهجه الرباني، وإدانته من قبل بعض فقهاء المالكية في تونس، واتهامه بالزندقة وأنه جاسوس فاطمي.

ورغم تبرئته أثناء مثوله بين يدي السلطان الحفصي، إلا أن الشاذلي عزم على الرحيل إلى الإسكندرية مصطحبا معه تلميذه أبو العباس المرسي¹. ولما وصل الشاذلي إلى الإسكندرية شرع في دعوة الناس إلى طريقته في مسجد العطارين، كما كان يعقد كل ليلة في داره مجلسا يحضره الناس من كل البلاد، وظل الشاذلي بمصر قرابة أربعة عشر عاما (642-656هـ)، إلى أن توفي سنة 656هـ وهو في طريقه إلى الحج. وبموت الشاذلي خلفه في طريقته تلميذه أبو العباس المرسي (616-685هـ) الذي تتلمذ على يديه ابن عطاء الله السكندري.

2- أصول الطريقة الشاذلية:

تشهد كلمات الشاذلي الكثيرة تأكيده على ضرورة الالتزام بمتابعة السنّة النبوية، فمن أقواله: "إذا عارض كشفك الكتاب والسنّة فتمسك بالكتاب والسنّة، ودع الكشف". ويقول: "ارجع عن منازعة ربك تكن مؤحّدا، واعمل بأركان الشرع تكن سنيا، واجمع بينهما تكن محققا". ويقول: "إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس والجماعات فلا تعبان به". يقول الدكتور علي صافي: "فلست أجد في قول الشاذلي ومأثوراته جميعا سواء منها الإنكار أو الأوراد والأحزاب، عبارة ولا جملة تدل على أنه كان يذهب مذهب الحلوليين أو الاتحاديين أو القائلين بوحدة الوجود". وكان الإمام الشاذلي من القائلين بعدم إباحة السماع لأهل الطريق. وكان للشاذلي رأي في الكرامات يقول فيه: "ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنّة". وتتمثل أصول الطريقة الشاذلية في أصول خمسة هي: "تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنّة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء".

¹ - النجار، المرجع السابق، ص124 وما بعدها.

- 3- خصائص الطريقة الشاذلية:** يدّعي أتباع الطريقة الشاذلية، أن طريقتهم انفردت عن باقي الطرق بخصائص عملية تظهر على سلوكهم، ويشاهدها الآخرون، جعلتها سالمة من النقد الموجه للتصوف في السلوك والعقائد وهذه بعض الخصائص التي زعموها لأنفسهم:
- أن التصوف عند الشاذلية ليس في ترك المأكل والمشرب.
 - أن التصوف عند الشاذلية ليس في لبس المرقعات من الثياب.
 - أن التصوف عند الشاذلية ليس فيه عظيم مشقه ولا كثرة مجاهدة.
 - أن التصوف عند الشاذلية لا يدعو لترك العمل.
 - أن طريقتهم تدم السماع.
 - أن طريقتهم تحرم المسألة، وتحت أتباعها على طرق باب الأسباب والعمل. قال أبو الحسن الشاذلي لتلميذه المرسي: إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل من أحد شيئاً.
- يدّعي أتباع الطريقة الشاذلية أنها طريقة سنية، متبعة للكتاب والسنة، خالية من المسائل الفلسفية، ومسائل التصوف الخطيرة التي كفر بسببها بعض الصوفية، كمسائل الحلول ووحدّة الوجود وغيرها. وأن كل من قال بهذه المسائل من المتأخرين، فقد زاد في الطريقة، وأدخل فيها ما ليس منها مما يعد تطوراً مذموماً.
- قال السيوطي: "وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي يحضر عند الأئمة مثل سلطان العلماء الشيخ عز الدين ابن عبد السلام، والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، هذا مع ما صح عن ابن دقيق العيد من تشديد النكير على الاتحادية وتضليل عقولهم، فلو رأى في كلام الشاذلي ذرة من ذلك لكان أول مبادر إلى إنكارها". وورد عن أبي الحسن الشاذلي وغيره من المتقدمين في التبرؤ من بعض مظاهر التصوف التي شنع عليها العلماء، كلبس الخشن وترك الطعام والشراب، والقيام بالسماع والرقص والسؤال وترك العمل والتزام التجرد¹.

4- مصنفات الطريقة الشاذلية:

¹ - خالد بن ناصر العتيبي، الطريقة الشاذلية عرض ونقد، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 2011، ص418، 419، 420.

لم يترك الشاذلي مصنفات في التصوف ولا تلميذه أبو العباس المرسي، وكل ما خلفاه هو أقوال وبعض الأدعية. وكان ابن عطاء الله السكندري هو أول من جمع أقوالهما ووصاياهما وأدعيتهما وترجم لهما، فحفظ بذلك إرث الطريقة الشاذلية الروحي، ولولاه لضاع هذا التراث. ومن أشهر مؤلفات ابن عطاء الله، الحكم العطائية، وهي أهم ما كتب ابن عطاء الله. وهي عبارة عن جمل قصيرة صيغت صياغة نثرية، للدلالة على آرائه في التصوف، واغلبها في صورة خطاب موجه إلى المرید السالك بطريق الصوفية. حتى يتحلّى بقواعد السلوك الصوفي¹.

¹ - العتبي، المرجع السابق، ص 448، 449.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- القرآن الكريم برواية حفص

ثانياً - المصادر:

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد(ت728هـ/1328م):

01- مجموعة الفتاوى، دار الوفاء، مصر، ط3، 2005.

02- مجموع الرسائل والمسائل، مطبعة رشيد رضا، القاهرة (د.ت).

03- الصوفية والفقراء، دار المدني للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

- الجرجاني، علي بن محمد الشريف(ت816هـ/1413م):

04- التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط)، 1958.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن(ت597هـ/1201م):

05- تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، لبنان.

الجيلاني، أبو محمد عبد القادر(ت561هـ/1165م):

06- آداب السلوك والتوصل إلى منازل الملوك، تح: محمد غسان نصوح عزقول، دار

السنابل، ط1، دمشق، 1995.

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/1406م):

07- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط4، 1981.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد(ت681هـ/1282م):

08- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت748هـ/1347م):

09- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،

بيروت، ط1، 1985.

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت1205هـ/1790م):

10- تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1987.

- السلمي، أبو عبد الرحمن محمد النيسابوري (ت412هـ/1021م):

11- الطبقات الصوفية، تح: أحمد الشرباصي، مؤسسة دار الشعب، ط2، 1998،

- السهروردي، أبو حفص عمر بن محمد (ت632هـ/1234م):

12- عوارف المعارف، تح: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2006.

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت790هـ/1388م):

13- الاعتصام، تح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.

- الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب (ت973هـ/1565م):

14- الأنوار القدسية في آداب العبودية، تح: طه عبد الباقي سرور والسيد محمد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، 1988.

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد (ت548هـ/1153م):

15- الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1993.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1363م):

16- الوافي بالوفيات، تح: محمد الحجيري، دار النشر فرانز شتايز، شتوتغارت، ط2، 1991.

- الطوسي، السراج (ت378هـ/988م):

17- اللمع، تح: عبد الحلیم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، مكتبة المثني، بغداد، (د. ط)، 1960.

- الغزالي، أبو حامد محمد (ت505هـ/1111م):

18- روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار النهضة الحديثة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

19- المنقذ من الضلال، تح: محمد أبو ليلة ونور شيف عبد الرحيم، جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن، (د.ت).

- القاضي عبد الجبار، بن أحمد الهمذاني(ت415هـ/1025م):

20- شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1996.

- القشيري، أبو القاسم(ت808هـ/1406م):

21- الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، (د. ط)، القاهرة، 1989.

- الكتبي، محمد بن شاکر(ت764هـ/1363م):

22- فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973.

- الكلاباذي، أبو بكر محمد(ت384هـ/990م):

23- التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، ط2، 1994.

- المحاسبي، أبو عبد الله الحارث(ت243هـ/857م):

24- الرعاية لحقوق الله، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط4، دار الكتب العلمة، بيروت، (د.ت).

- الواسطي، أبو الفرج تقي الدين بن عبد المحسن(ت744هـ/1343م)

25- ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين، (د. ط)، (د. ت).

ثالثا - المراجع:

26- أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 2013.

27- حامد طاهر، الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1991.

28- خالد بن ناصر العتيبي، الطريقة الشاذلية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2011.

29- طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط2، 2017.

30- عادل محمود بدر، دراسات في الفلسفة الصوفية عند الإسلاميين بمنظور جديد، مصر، 1992.

- 31- عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997.
- 32 - عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، مصر، ط5، (د.ت.).
- 33- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999.
- 34- عبد الرحمن بدوي، شخصيات قلقة في الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1964.
- 35- عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975.
- 36- عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، دار الرشد، القاهرة، ط1، 1992.
- 37- العتيبي خالد بن ناصر، الطريقة الشاذلية عرض ونقد، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 2011.
- 38- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط8.
- 39- الكسنزان محمد بن الشيخ عبد الكريم، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، مكتبة دار المحبة، دمشق، 2005.
- 40- الكيلاني السيد ميعاد شرف الدين، الطريقة القادرية أصولها وقواعدها، كتاب ناشرون، ط1، لبنان، 2014.
- 41- مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1969.
- 42- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، القاهرة، ط2، 1989.
- 43- محمد عبد الله الشرقاوي، المستشرقون ونشأة التصوف، دار البشر للثقافة والعلوم، المدينة المنورة، ط1، 2017.

44- نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 2006.

45- نيكلسون، الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 2002.

46- يوسف خطار محمد، الموسوعة اليوسفية في بيان الأدلة الصوفية، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2003.

47- يوسف أسعد داغر: مصادر الدراسة الأدبية، المكتبة الشرقية، بيروت، (د. ط)، 1983.

رابعا - المراجع باللغة الأجنبية:

48- Edward Said. Orientalism. (New York: Vintage Books, 1979)

خامسا - الدوريات:

49- صالح بن عبد الله الغامدي، المستشرقون والتصوف، مجلة العلوم الإسلامية الدولية، جامعة المدينة العالمية، المجلد6، العدد الخاص1، 2022.

50- محمد سيد أحمد، دور العقل في السمعيات عند القاضي عبد الجبار، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أسيوط، عدد31.

51- عفاف مصباح بلق، التصوف الإسلامي (مفهومه -نشأته وتطوره- مصادره)، مجلة كليات التربية، العدد 14، 2019.

فهرس الموضوعات:

2.....	مهاور المارة
4.....	مقمة
5.....	المأضرة الأولى
13.....	المأضرة الأناة
18.....	المأضرة الأاأة
24.....	المأضرة الأارة
30.....	المأضرة الأامسة
38.....	المأضرة الأاساة
44.....	المأضرة الأاباة
50.....	المأضرة الأامنة
58.....	المأضرة الأاساة
65.....	المأضرة الأاشرة
69.....	قائمة المصادر والمراجع
74.....	فهرس الموضوعات